السبت 12 كانون الأول 2020
العدد 4222 السنة الخامسة عشرة
Samedi 12 Décembre 2020 n°4222 15ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

نغوغي واثيونغو
كينيا الاستعمار والأساطير السحيقة

الادّعاء في انفجار المرفأ:
تهديد بتطيير التحقيقات... والحكومة [2]

لبنان يواجه «فقر الدورة الشهرية»!
[6 ـ 7]

(مروان بو حيدر)

الأخبار
al-akhbar
لمناسبة الأعياد ورأس السنة
اشترك الآن ولمدة سنة بـ 400,000 ل.ل.
وادخل السحب للفوز بجائزة من مئات الجوائز
يجري السحب في 12-01-2021
للاشتراك : 01-759500
جوائز عديدة تقدمة مطعم الساحة
هاتف Samsung تقدمة محلات CLASS
IDM GO 4G Router + اشتراك لمدة شهر
قسائم شرائية تقدمة Carrefour
إشتراكات مجانية في جريدة الأخبار
تركيب Cable Vision مجاني + اشتراك لمدة شهر
قسائم بنزين تقدمة محطات Hypco
ليلتان في منتجع Rest House Sour
منحة جامعية كاملة في جامعة الـ LIU
50% حسم للتلميذين من جامعة المعارف
cablevision CLASS كارفور Carrefour MU LIU IDM the internet people ASSAHA VILLAGE Hypco

المشهد السياسي

الادّعاء في انفجار المرفأ: تهديد بتطيير التحقيقات... والحكومة

أصبح قاضي التحقيق فادي صوّان بحاجة إلى من يضع له السلّم لينزل عن الشجرة التي تسلّقها بنفسه، بادعائه على حسّان دياب ويوسف فنيانوس وعلي حسن خليل وغازي زعيتر. القرار وإن كان «بادرة إيجابية» يُبنى عليها لإلغاء الحمايات السياسية، ولكنّ خلفياته الاستنسابية تُهدّد مستقبل التحقيق وتزيد من الشرخ السياسي في البلد. جبهتان تشكّلتا، واحدة تضم فريق العهد والثانية خصومه، تحديداً ثلاثي برّي - الحريري - جنبلاط. التشدّد هو عنوان المرحلة المقبلة، في ظلّ تأزّم الوضع المالي والاقتصادي يوماً بعد آخر

لم يعد «مُهمّاً» إن كانت جهة سياسية تقف خلف ادّعاء المُحقق العدلي في جريمة انفجار المرفأ، القاضي فادي صوّان، على رئيس الحكومة المستقيلة حسّان دياب والوزراء السابقين علي حسن خليل ويوسف فنيانوس وغازي زعيتر، كما يزعم خصوم النائب جبران باسيل، أم أنّ قرار صوّان أتى بمعزل عن المُناكفات السياسية. فالنقطة الأساسية تتمحور حالياً حول النتيجة التي أدّى إليها الادّعاء، وهي تكتّل كلّ خصوم التيار الوطني الحرّ ضدّه. من زار السرايا الحكومية وأصدر البيانات واتصل مُتضامناً مع دياب، لم يهدف سوى إلى تمتين الجبهة في وجه «فريق العهد» المُتّهم بأنّه يستغل القضاء لـ«تصفية الحسابات». في الوقت الذي قرّر فيه التيار الوطني الحرّ الدخول من بوّابة «مُكافحة الفساد» عبر تحريك ملفات قضائية، كاستدعاء حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، والادّعاء في ملفّ المُهجرين، والإثراء غير

> **حزب الله: قرار صوّان سيؤدي للأسف إلى تأخير التحقيق والمحاكمة**

> **يُهدّد الفرنسيون بأنّ آلية عملهم ستتبدّل إذا لم تُشكّل حكومة قبل 22 كانون الأول**

المشروع لعدد من الضباط أبرزهم قائد الجيش السابق جان قهوجي... لن يعتبر ثلاثي نبيه برّي - سعد الحريري - وليد جنبلاط نفسه معنياً في تقديم أي «تنازل» يراه يصبّ في مصلحة الرئيس ميشال عون وباسيل في مسألة تشكيل الحكومة. وبناءً على ذلك، جرى التمترس خلف قرار صوّان للمزيد من التعقيد في مفاوضات تأليف الحكومة، ما يدفع القوى السياسية الرئيسية في البلد إلى التأكيد: «لا حكومة». يحسم هؤلاء بأنّ «سير التحقيقات في قضية المرفأ سيزيد الضغائن والفرز بين القوى». وما «الادعم» الذي أحيط به دياب سوى أحد مؤشرات مرحلة التوتّر.

قبل يوم من ادّعاء صوّان، كان رئيس الحكومة المستقيلة «من دون خيمة»، هو الذي «نُبذ» من الطائفة التي ينتمي إليها بمُجرّد قبوله بالموقع، ونُظّمت ضدّه حملات تحريض، ولا سيّما من «نادي رؤساء الحكومات السابقين». في غضون ساعات، تحوّل دياب إلى «نقطة التحام» للتعبير عن «رفض التطاول» على موقع رئاسة الحكومة. تقول مصادر الأخيرة إنّ «انفجار بيروت كان كارثة كبيرة، لكن لا يُمكن توجيه الاتهام إلى رئيس الحكومة دونما عن آخرين، وكأنّه وحده المسؤول». لكنّ «المفاجأة» في كلّ «حملة التضامن» كانت الاتصال الهاتفي الذي تلقّته دوائر السرايا الحكومية من الحريري، مُبلغاً إياها أنّه في الطريق للقاء دياب. بالنسبة إلى أوساط الحريري، «هو لم يذهب إلى السرايا للتضامن مع دياب وحسب، بل للتأكيد أنّ موقع الرئاسة الثالثة ليس يتيماً». فالحريري يعتبر الادّعاء على دياب تمهيداً لاستهدافه ولـ«الموقع السنّي الأوّل» في الجمهورية، تماماً كما اعتبر كلّ من بري وسليمان فرنجية بما خصّ علي حسن خليل ويوسف فنيانوس. الحماية الطائفية لدياب ليست «استثناءً» في لبنان، بل تكرار لأحداث مُشابهة يتبدّل أبطالها حسب الملفّ. افتعال لضجّة غرائزية، غالباً ما تنتهي بـ«تطيير» التحقيقات، وكان «طبيعياً» أن يلجأ إليها دياب «خوفاً» من أي تبعات للقرار، كونه لا يملك غطاءً سياسياً. ولكن ردّة الفعل التي أخذت منحىً طائفياً، ستكون لها تبعات خطيرة. صحيحٌ أنّه ليس من العدل تحميل دياب مسؤولية أزمة عُمرها سنوات، ومن غير المنطقي استدعاء رئيس حالي للحكومة من دون أي وزير من حكومته، أو الادعاء على وزراء سابقين من دون رؤساء الحكومة في حينه، ولكن قد تؤدّي أحداث الـ48 ساعة الأخيرة إلى القضاء على أي إمكانية بالوصول إلى نتيجة في تحقيقات انفجار المرفأ. الملفّ حالياً أمام مُفترق طرق حسّاس، فإمّا يُعيد القاضي فادي صوّان الاعتبار للتحقيقات مُبعداً عنها صفة الاستنسابية من خلال توسيع مروحة المُدّعى عليهم، أو يُكمل في أسلوب قرارات «ردّات الفعل الشعبوية» ويمنع الوصول إلى الحقيقة في معرفة مُسبّبي جريمة 4 آب.

ولكن هل سيؤدّي ذلك إلى عرقلة تشكيل الحكومة؟ بالنسبة إلى أوساط فريق 8 آذار «كلّ خضّة كبيرة تُعرقل ملفّات أخرى، ما حصل سيُفرمل الديناميكية التي خُلقت بتقديم الحريري مسودة الحكومة، والردّ عليها باقتراح من رئيس الجمهورية». كانت المرّة الأولى التي «يبرز فيها جو نقاش جدّي حول الحكومة، وقد وأده ادّعاء صوّان». ولكن، ستستمر محاولات إخراج التشكيلة قبل 22 كانون الأول، موعد وصول الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى لبنان (أعلن الإليزيه أنّ ماكرون سيزور لبنان في 22 و23 الشهر الجاري)، «وهو ما يضغط تجاهه الفرنسيون، وإلّا فإنّهم يُهدّدون بأنّ آلية عملهم ستتبدّل وسينتقلون إلى ممارسة المزيد من الضغوط على لبنان». على أهمية وضرورة تشكيل حكومة في أسرع وقت لمحاولة تخفيف حدّة الانهيار الاقتصادي والمالي، ولكن لم يكن بنداً على أجندة السياسيين أمس، الذين تلهّوا بإصدار بيانات التضامن مع دياب، الذي أعلن الحريري بعد لقائه أنّه «أتيت إلى رئاسة الحكومة لأُعبّر عن رفضي المطلق للخرق الدستوري الواضح والفاضح الذي ارتكبه القاضي بالادعاء على رئيس الحكومة. رؤساء الحكومات يمثلون فقط أمام محكمة خاصة يشكلها المجلس النيابي. رئاسة الحكومة ليست للابتزاز». أما تيار المردة، فقد أصدر بياناً يصف ما جرى بـ«الاستنسابية غير المبنية على أسس صحيحة. الوزير السابق يوسف فنيانوس قام بواجباته كاملة وفقاً للأصول المرعية وضمن صلاحياته... إذا كان الهدف تدفيعنا ثمن مواقف سياسية معينة فهذه الأساليب لم تنفع معنا في السابق ولن تؤثر فينا اليوم».

كذلك اعتبر رئيس الحكومة السابق فؤاد السنيورة، أنّه «لا يجوز أن يُستعمل القضاء كقناع لعمليات بوليسية أو لتركيب اتهامات من أجل تصفية الحسابات السياسية أو للانتقام. وإذا كان هناك من حيادية حقيقية فمن الأولى أن يصار إلى طلب الاستماع إلى فخامة الرئيس الذي قال بعظمة لسانه إنّه علم بالأمر قبل 15 يوماً من التفجير». وأكّد مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان «دعمه لدياب ووقوفه إلى جانبه ورفضه التطاول على رئاسة الحكومة»، في حين اعتبر وليد جنبلاط أنّه «لا يجوز أن يقف التحقيق في كارثة المرفأ أمام الحواجز الدستورية أو الطائفية، ولا بدّ أن يشمل الجميع بدون استثناء». من جهته، أشار الحزب السوري القومي الاجتماعي إلى أنّ «كارثة بهذا الحجم تستدعي إجراء تحقيقات شفّافة تُمسك بكلّ الخيوط، وهذا مسار يتطلّب مُتابعة حثيثة وإحاطة شاملة بما يُسهّل تحديد المسؤوليات وكشف الحقيقة». وأضاف البيان أنّ تخطّي المرحلة «يتطلّب ابتعاداً عن الشعبوية في مقاربة الملفات».

أما حزب الله فقد أصدر بياناً حاول فيه التوفيق بين إصراره على المُضيّ بالتحقيقات وبين التنبيه من الاستنسابية التي لجأ إليها صوّان، فبدأ البيان بالتأكيد على «تأييدنا المبدئي والتام للتحقيق القضائي، وكشف كل الجهات والأفراد المسؤولين عنها أياً كانوا»، مُنبهاً إلى عدم «سقوط التحقيق في متاهات الإجراءات الإدارية والتعقيدات الروتينية والإشكالات القانونية، بحيث تختفي الأدلة، ويُغيّب المُجرمون وتضيع الحقيقة، وتطفو على السطح الشبهات غير الموثوقة والاتهامات غير المسندة والادّعاءات غير الصحيحة». وشدّد حزب الله على أن «تكون جميع الإجراءات التي يتخذها قاضي التحقيق بعيدة عن السياسة والغرض وأن يتم الادّعاء على أسس منطقية وقانونية، وهذا ما لم نجده في الإجراءات الأخيرة، بالتالي فإننا نرفض بشكل قاطع غياب المعايير الموحّدة التي أدّت إلى ما نعتقده استهدافاً سياسياً طاول أشخاصاً وتجاهل آخرين دون ميزان حقّ، وحمّل شبهة الجريمة لأناس واستبعد آخرين دون مقياس عدل، ما سيؤدي للأسف إلى تأخير التحقيق والمحاكمة بدلاً من الوصول إلى حكم قضائي مُبرم وعادل».

(الأخبار)

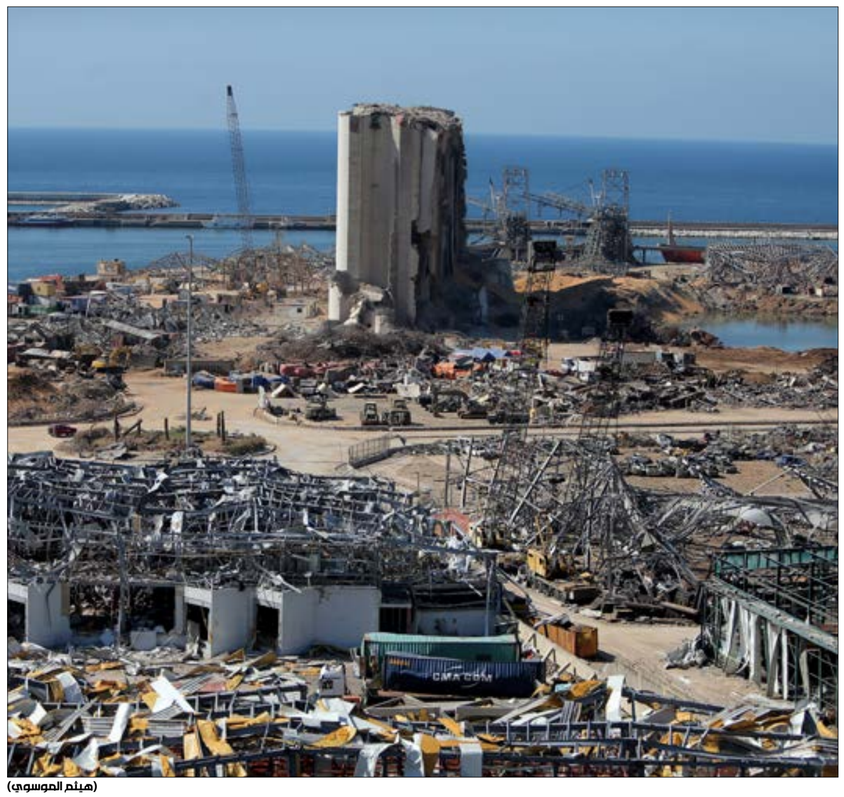

(هيثم الموسوي)

تقرير

نهاية «الدعم المزعوم»: لماذا يتمسّك سلامة بالـ1515؟

في حال قرّرت الحكومة، أو فرض مصرف لبنان، التوقّف عما يسمّيه «دعم» استيراد بعض السلع الرئيسية على أساس سعر صرف 1515 ليرة، يكون قد نزع آخر «مُبرّرات» تثبيت سعر الصرف. وتعديله يوجب تصحيح الأجور. لكنه يُمنع البحث في الأمر، حفاظاً على وجود «المصارف الزومبي»

ليا القزي

تدعم فرنسا - عبر البلديات - إيجارات الشقق لأصحاب الدخل المحدود والعاطلين عن العمل (بعد دراسة كل طلب كلّ حالة)، تُشارك الحكومة الأسترالية في دفع أجور الموظفين في الشركات التي تُشجّع اليد العاملة المحلية، تحديداً الشباب وكبار السنّ. تؤمّن كوبا التعليم المجاني لكلّ السكّان في كلّ مراحله، من الحضانة وحتى الجامعة. يُموّل القطاع العام في كندا تغطية شاملة لخدمات الرعاية الصحية الضرورية. أرست مصر نظاماً لدعم المواد الغذائية، بما يضمن توفير السلّة الغذائية الأساسية للسكّان بأسعار مُتدنّية. أقرّت تركيا الإعفاء الضريبي لوسائل النقل العام ولاستهلاك الغاز النفطي المُسال ليُصبح سعره أقلّ مقارنةً بالبنزين والديزل... يختلف شكل الدعم المُوجّه للسكّان بين دولة وأخرى، ولكن القاسم المُشترك بينها أنّ الدعم «سياسة حكومية»، يتمّ تمويل كلفته من الخزينة العامة. إجمالاً، يأتي الدعم لضمان حصول الناس على حاجاتهم الرئيسية وكجزء من استراتيجية الحماية الاجتماعية العامة، ولا يترك فرصةً لأهواء «السوق» وخيارات القطاع الخاص ومؤسساته المالية، التي لا تُبالي إلّا بحسابات الربح والخسارة. ولكن في لبنان، تراجعت «الدولة» خطوةً إلى الخلف، فتفرّجة على مصرف لبنان يُصدر تعاميم ما يسمّى الدعم، من دون معايير. صحيحٌ أنّ بعض الأسعار مدعومة في لبنان، كأدوية مرضى السرطان أو سعر الكهرباء (من دون تناسي أنّ القسم الأكبر يدفع فاتورة الاشتراك بالمولّد الكهربائي) ولكن «الدعم» بمفهومه العام غير موجود. يقول الوزير السابق ونائب حاكم مصرف لبنان سابقاً، ناصر السعيدي إنّه «ليس من صلاحيات مصرف لبنان أن يُقرّر إذا كان سيدعم أم لا». ويُضيف في اتصال مع «الأخبار» أنّ سياسة الدعم المُتبعة خاطئة، «لأنّ الدعم يجب أن يكون من صلب موازنات الدولة. حالياً، لا يوجد أي شفافية ومساءلة، وُضعت مثلاً لائحة لتمويل استيراد السلع الأساسية، من دون دراسة. والنسبة الأكبر من الدعم لا تصل إلى الفقراء والمحتاجين، وقسمٌ كبير من السلع المدعومة يُهرّب إلى الخارج».

ليس النقاش الدائر حالياً حول «رفع الدعم» أو «ترشيد الدعم»، إلّا تضليلياً، بدءاً من تحويل «الدعم» إلى مشكلة بحدّ ذاتها وحصر «أقصى» حاجات السكّان بتامين ربطة الخبز وعلبة السردين، وصولاً إلى أنّ الدعم غير موجود في الأصل. فما يقوم به مصرف لبنان هو تغطية 85% من كلفة الاستيراد بالسعر الرسمي لصرف الليرة. وفي الـ«1515 ليرة» يكمن صلب الموضوع.

سنوات «إعمار» ما بعد الحرب، لم تتضمّن وضع استراتيجية حماية أو تحديد أشكال الدعم للسكّان من قبل الحكومات المُتعاقبة، بل تمّ اللجوء إلى تثبيت سعر الصرف على 1515 ليرة لكلّ دولار. «اعتُمدت هذه السياسة لتحقيق أرباح غير شرعية على حساب الناس»، يقول وزير المالية السابق جورج قرم لـ«الأخبار». وفي معرض تبرير الإثم المُرتكب، يتمّ «تربيح جميلة» بأنّ تثبيت السعر سمح لجزء من السكّان بالسفر وشراء سيارات جديدة وارتياد مطاعم فخمة والتعلّم في مؤسسات خاصة، إلا أنّها علمياً كانت «خدمة» قدّمها حاكم مصرف لبنان، رياض سلامة لـ«فئة الـ1%» وكلّ من يرتبط بها من كبار مودعين وسياسيين وتجّار ومصرفيين.

يقول أحد أساتذة الاقتصاد في «كلية لندن للاقتصاد» إنّ تثبيت سعر الصرف «دمّر الاقتصاد الوطني وقدرته على تحريك سوق العمل وإنتاج الرساميل وخلق النموّ». السعر الحقيقي «كان ضعفي الـ1515، وكان الاقتصاد يتكبّد خسارة دولارين مقابل كلّ دولار يخرج من البلد». مَن يملك المال «كان المُستفيد الأكبر، خاصة من ادّخر أمواله في حسابات خارجية، ولم يُعد توظيفها في الداخل». أُضيف إلى ذلك الفائدة المرتفعة «لجذب الدولارات ومحاولة كبح التضخم، من دون الاهتمام بخلق فرص العمل أو دعم الاقتصاد الحقيقي، فضعُفت قيمة الأجور». أوصل هذا المسار إلى فرض دعم وهمي «على الاستهلاك للطبقتين الغنية والفقيرة، جاء لمصلحة الأغنياء. فقد اشترى الفقير الخبز والدواء والبنزين على أساس 1515 ليرة، ولكنّ هذا الدعم أدّى إلى تضخّم حصّة الغني وارتفاع استهلاكه من دون كلفة كبيرة، ما زاد من قدرته على الادّخار».

عام 2019، حلّ الانهيار وتبخّرت القدرة على تثبيت سعر الصرف، وصولاً إلى «تهديد» رياض سلامة في

> **قرم: ثُبّت سعر الصرف لتحقيق أرباحٍ غير شرعية على حساب الناس**

آب الماضي بأنّه سيتوقف نهاية عام 2020 عن «دعم» الاستيراد وفق سعر الصرف الرسمي. في حال توصّلت الحكومة إلى آلية لتبديل صيغة «الدعم» الحالية، ما المُبرّر لإبقاء السعر الرسمي للدولار عند 1515 ليرة؟ ولماذا لا يُعدّل بما يتناسب مع المُتغيرات في المؤشرات المالية؟ يعتبر أحد الخبراء الاقتصاديين أنّ «عدم تعديل سعر الصرف الرسمي فيه أذى للسكّان، الذين أصبح مُعظم استهلاكهم بناءً على سعر السوق السوداء، من دون أي تحسين في مستوى معيشتهم»، مُشيراً إلى أنّه «لا معنى لمناقشة مستقبل الدعم من دون دراسة سعر الصرف وكيفية تصحيح الأجور، انطلاقاً من تحديد السياسات الاجتماعية - الاقتصادية الواجب اعتمادها».

في الإطار نفسه، يرى قرم أنّ «الاختلال بدأ مع إبقاء سعر صرف 1515 ليرة مقابل أسعار مُتعدّدة لأنواع مختلفة من العمليات. هذه البدعة تزيد الفوضى والتلاعب في السوق، وتستفيد منها المصالح التجارية والمالية في البلد». ما لا يجده قرم منطقياً هو أن يكون لبنان «خلال الخمسينيات والستينيات في الطليعة باعتماد سعر صرف عائم واقتصاد متين، ثم يختار تثبيت سعر الصرف حين ذهبت الاقتصادات العالمية نحو تحرير السعر، ما أدّى إلى نهب لبنان وشلّ إمكاناته». لا يتحدّث قرم عن «توحيد أسعار الصرف». أما إذا أرادت الحكومة القيام بذلك، «فبإمكانها تحديد سعرين، واحد للاستيراد والآخر للتداول المحلّي». ولكن ما يقترحه وزير المالية السابق، هو «العودة إلى سعر الصرف العائم ضمن هوامش واسعة، ما يسمح للبنان بالتكيّف مع التطورات النقدية العالمية، وبالتقاط المؤشرات على أيّ خلل قد يُصيب السوق».

التصحيح الاقتصادي الذي يقترحه قرم وغيره من الاختصاصيين لا يبدو قابلاً للتطبيق بوجود مُنتفعين من الوضع. تقول مصادر في وزارة المالية إنّه يُبحث رفع استيفاء بعض الرسوم على أساس الـ3900 ليرة، ولكن لا تعديل في سعر الصرف رسمياً. فكما اتُّخذ خيار «التثبيت» في التسعينيات تنفيذاً لمصلحة «الكبار»، سيُستمر حالياً العمل به حمايةً لمصالح مصرف لبنان والمصارف التجارية. على الورق، سيبقى السعر الرسمي 1515 ليرة، «لأنّ تغييره يعني إعلان إفلاس جميع المصارف، لأن رساميلها مقوّمة بالليرة»، يقول أحد المصرفيين.

يُبحث استيفاء بعض الرسوم على أساس الـ3900 ليرة (مروان بو حيدر)

تقرير

الحاكم مستعد للمثول... سرّاً!

بذريعة الضرورات الأمنية، اعتذر حاكم مصرف لبنان رياض سلامة عن عدم المثول أمام النائب العامّ الاستئنافي في جبل لبنان غادة عون، التي استدعته للاستماع إلى إفادته في قضية «تهريب» الدولارات المخصّصة لاستيراد السلع «المدعومة»، أول من أمس. وعلمت «الأخبار» أن مسحاً أمنياً أجري في محاولة لكشف إمكانية قدوم سلامة من دون إثارة أيّ جلبة، لكن تبيّن أن ذلك غير ممكن، ولا سيما أنّ هناك عدداً من الأشخاص قد حضروا للاحتجاج ضد سلامة في حال قدومه. وقد أبلغ وكيل الحاكم المحامي شوقي قازان القاضية عون أنّ سلامة مستعد للمثول أمام القاضية عون للإدلاء بشهادته على أن لا يكون هذا الاستدعاء علنياً ومسرّباً في الإعلام حرصاً على أمنه الشخصي. واستمعت عون إلى إفادة مدير العمليات في مصرف لبنان، مازن حمدان، بشبهة سوء استخدام دولارات مصرف لبنان لدعم السلع الأساسية، علماً أنّ ذلك يأتي في سياق استكمال التحقيق الجاري مع نحو 34 صرّافاً. كما كانت عون قد استمعت إلى نقيب الصرّافين محمود مراد ورئيس لجنة التدقيق في مصرف لبنان كمال الأمين.

(الأخبار)

قضية اليوم

العونيّون من الدفاع إلى الهجوم... بالقضاء

رلى إبراهيم

لماذا قرّر التيار الوطني الحر فتح معركة الفساد، بإخبارات ودعاوى قضائية، اليوم؟ من مصرف لبنان وحاكمه، إلى قائد الجيش السابق وأركانه، وصولاً إلى وزارة المهجرين. أسئلة كثيرة تُطرح، في السياسة، عن «الهجوم العوني» القضائي. ثمّة أجوبة كثيرة يجري التداول بها، تمحورت غالبيتها حول وضع هذه التحركات في سياقين: الأول آنيّ، يتصل بـ«الضغط الحكومي على كل من الرئيس المكلّف سعد الحريري ورئيس مجلس النواب نبيه بري والنائب السابق وليد جنبلاط». أما الثاني، فيهدف إلى الانتقال من الحالة الدفاعية التي حُشر فيها التيار منذ 17 تشرين 2019 حتى اليوم، إلى حالة هجومية على القوى التي استفادت من حشر التيار، أو شاركت فيه.

ينطلق التيار من هنا لنقض كل الأسباب التي يرى أنها «لُفّقت له نتيجة ادعائه على فاسدين»، خصوصاً تلك التي تتعلق بالحكومة. فأصلاً «البازار الحكومي غير موجود، وعلى افتراض أن هناك كباشاً ما، فغالباً لأن جهة ما تريد الاستيلاء على الحصة المسيحية أو فرض شروطها عليها».

وفي هذا السياق، لا مشكلة بين رئيس المكلّف سعد الحريري ورئيس الجمهورية ميشال عون أو رئيس التيار جبران باسيل مع بري على الوزراء المسيحيين، بل تصف المصادر العونية العلاقة معه بأنها في أفضل حالاتها رغم المناوشات الإعلامية. فللمرة الأولى منذ سنوات، يتحدث العونيون عن تعاون بري معهم، واستجابته سريعاً مع رسالة عون حول التدقيق الجنائي من خلال عقده جلسة سريعة للبرلمان ثم خروجه بتوصية كما أرادوا. وهو ما يجري تفسيره بإيجابية تامة وأنه فاق توقعاتهم. وبالتالي كل اللعب على مشكلة حكومية أو شخصية مع عين التينة «في غير محله»، ولا يستفيد منها التيار، بل يدرك عون وباسيل جيداً أن أي شدّ حبال مع بري سيعرقل أي مسعى حكومي ولن يكون لمصلحتهما لأنه سيضع رئيس حركة أمل حكماً في صف رئيس الحكومة المكلف سعد الحريري ضدهما. فضلاً عن أن هذا «التكتيك» بالهجوم لتليين الطرف الآخر لا يسري على بري أو جنبلاط أو أي حزب، بل يجعلهم أكثر شراسة وتعنتاً في مواقفهم. وبالتالي ربط ملفات الفساد بأي طموح حكومي هو «من نسج الخيال». لكنه في الوقت عينه محاولة من جنبلاط - الذي هرع إلى عين التينة فور ادعاء هيئة القضايا على موظفين في وزارة المهجرين بجرم الإثراء غير المشروع - لتحويل الفساد إلى عراك بالسياسة، طالباً النجدة من بري. من هنا يأتي تصريح النائب الاشتراكي بلال عبدالله بأن ما يقوم به التيار «سلسلة ملفات قضائية يجهزها باسيل ليحركها تباعاً ضد جنبلاط وبري والحريري». فجنبلاط، برأي التيار، يصرّ «عمداً على إقحام الآخرين في المشكلة بشكل شخصي حتى يضمن خروجاً آمناً ويتنصل من الموبقات المرتكبة في مغارة وزارة المهجرين».

أما الواقع، على ما يشير العونيون، فيقول إن تلك الملفات لا يمكن أن تُعد فجأة في ليلة وضحاها بل تحتاج إلى تحضير مسبق وجمع لمعطيات على فترات متباعدة حتى يصبح الملف جاهزاً. وذلك تفصيل آخر «ينسف الشائعات التي يستخدمها البعض للهروب من تهم الفساد المثبتة ضدهم و«تقريش» سرقتهم للمال العام في البازار السياسي». فقد سبق للتيار أن أثار ملفَين اثنين في هذا السياق، الأول ضد رئيسة هيئة إدارة السير هدى سلوم والثاني حول موظفين وشركات مرتبطين بقضية الفيول المغشوش. فغداة 17 تشرين الأول 2019، أنشأ تكتل لبنان القوي لجنة مؤلفة من عدد من النواب وعضو المكتب السياسي في التيار وديع عقل مهامها إعداد ملفات فساد لرفعها إلى القضاء، بالتوازي مع الانتفاضة الشعبية، للإسراع بإصدار الأحكام القضائية تحت ضغط الشارع. ثمّة قضايا تمكّنت اللجنة خلال العام الأول من عملها من توثيقها بالكامل، وثمة مسائل كملف رئيس مجلس إدارة طيران الشرق الأوسط محمد الحوت تفتقد إلى الحجج القضائية القوية التي تسمح للتيار بالهجوم. وهناك ادّعاءات فارغة أدت إلى عدم إثارة الرئيس عون السؤال نفسه عن الملفات العشرة التي أعلن القصر الجمهوري في بيان عقب انتفاضة تشرين متابعتها بنفسه ومنها التحقيق مع رئيس الحكومة السابق نجيب ميقاتي. من هنا، وبعد اجتماع عون مع لجنة الكتل ورئيس التيار، تقرّر العمل بشكل عملي وجدي ودقيق على تجهيز ملفات متكاملة لا لبس فيها. المسألة الأهم هنا أن العقوبات الأميركية على باسيل هي الفاصل هنا في اتخاذ قرار المضي قدماً في معركة الفساد وفتح الملفات كلها قضائياً، فيما كان قبيل ذلك يتأنّى في عرضها. ورغم أن لا علاقة مباشرة بين المسألتين، فإن مراكمة الخيبات لدى ممثلي التيار وجمهوره، جعلت من غير الممكن انتظار الحلول الخارجية. فالبيت العوني بدا في حالة تداعٍ، وبات معها يحتاج إلى صدمة كبيرة وإيجابية لتدعيم أعمدته. على أن المعركة الوحيدة التي حسمها رئيس التيار فعلياً بعد فرض العقوبات عليه، «ولم تعد قابلة للمقايضة أو المسايرة»، فهي معركته مع حاكم مصرف لبنان رياض سلامة.

ملف «المهجّرين»: المال العام لتشجيع التهجير

(هيثم الموسوي)

رلى إبراهيم

تقدّم وزير المهجّرين السابق، غسان عطالله، بإخبار يتعلّق بملفات فساد في وزارة المهجرين. وعلى إثره، تقدمت هيئة القضايا بدعاوى إثراء غير مشروع على عدد من الموظفين في الوزارة. ويستند هذا الإخبار إلى 7 أقسام:

1- في القسم الأول، يتحدث عطالله عن إصدار وزير المهجرين السابق نعمة طعمة قراراً يجيز صرف تعويضات إعمار، بناءً على إفادة مختار فقط، والتغاضي عن سائر المستندات المنصوص عليها في قرارات مجلس الوزراء، وأبرزها الإفادة العقارية التي تثبت الملكية. استناداً إلى هذا القرار، سُجّل في عهد طعمة 1200 طلب من دون أي مسوّغ قانوني، وقيمة الطلب الواحد كانت 20 ألف دولار يومها.

2- أما القسم الثاني، فيدور حول صرف تعويضات الإعمار مع ترك الخيار للمتضررين من التهجير لتأمين مساكن بديلة في الأماكن التي يختارونها بأنفسهم، وهو ما ينسف قانون إنشاء الوزارة وصندوق المهجرين، وهو تأمين عودة المهجرين إلى المكان الذي هُجّروا منه في الحرب، بعد إجراء المصالحة. لكن دفع التعويضات للمواطنين من دون تحقيق العودة إلى قراهم، دفع بالكثيرين إلى شراء عقارات في أماكن السكن التي لجأوا إليها. أبرز الأمثلة على هذه المخالفات كانت في الدكوانة والمدور والكرنتينا، حيث جرى دفع تعويضات للأهالي المهجّرين من تلك المناطق حتى لا يعودوا إليها. ليس ذلك فحسب بل جرى التلاعب بأعداد الطلبات، فقد بلغ عدد الوحدات السكنية في الدكوانة المستفيدة بموجب التعاميم الصادرة عن الوزير طعمة، 997 طلباً، في حين أن مجمل العقارات موضوع التهجير هي 70 عقاراً. وتذرّع الصندوق بحجة أن «مساحة العقارات لا تسمح بإعادة البناء» لقبول الطلبات. وذلك يناقض الواقع بحيث إن ثمة عقارات تصل مساحتها إلى ألفَي متر مربع لكن تم التغاضي عن إمكانية البناء فيها استناداً إلى قرار فردي من الوزير، من دون أي مستند آخر صادر عن التخطيط المدني أو الدوائر العقارية.

> 12 طلب تعويض لإعمار عقار مساحته 30 متراً مربعاً بحسب الإفادة العقارية!

ويخلص الإخبار إلى أن هذا القسم يحمل هدراً للمال العام بقيمة تقارب الـ 23 مليار ليرة لبنانية. في منطقة المدوّر أيضاً، صدرت عدة تعاميم عن الوزير مروان حمادة في السياق نفسه، فكان مجلس إدارة صندوق المهجرين يُصدر قراراً بالموافقة على صرف تعويضات لأصحاب الحقوق لتثبيتهم في أماكن غير أماكن إقامتهم الأصلية وبعضهم لا يستوفي المعايير. هنا أيضاً بلغ الهدر ما يقارب الـ 14 ملياراً و700 مليون ليرة لبنانية.

«دجاجة تبيض ذهباً»

3- في ما عدا ملف التعويضات الذي استخدمت أمواله كتنفيعات ورشاوى، ولترسيخ التهجير، ليس من قرى الجبل حصراً، بل من بلدات أخرى في بيروت والمتن الشمالي وصولاً إلى عكار، يتحدّث القسم الثالث من الإخبار أيضاً عن صرف غالبية أمواله لغير مستحقيه، وهو ملف الإخلاءات. الواضح هنا أن وزارة المهجرين كانت بالنسبة إلى الوزراء الذين تعاقبوا عليها، ومعظمهم من الحزب الاشتراكي، بمثابة دجاجة تبيض ذهباً. لذلك العدد الأكبر ممن تقاضوا بدلات الإخلاء، وفقاً للإخبار، لا تنطبق عليهم صفة التهجير وبعضهم من جنسيات غير لبنانية. من ناحية أخرى، وبالرغم من إصدار رئيس الحكومة عمر كرامي (عام 1991) تعميماً (1/91) كلّف بموجبه المحافظين إخلاء كلّ المباني الحكومية المحتلة من دون دفع أي تعويض، اتخذ وزير المهجرين يومها وليد جنبلاط قراراً بدفع بدل تعويضات إخلاء لنحو 128 محتالاً في بناء قيد الإنشاء عائد لمستشفى بعبدا الحكومي وبلغت قيمتها الإجمالية نحو مليار ليرة لبنانية. في السياق نفسه، دُفعت تعويضات في عام 2002 لإخلاء أكثر من 17 شاغلاً يحتلون عقاراً تابعاً لخط السكة الحديد في محلة الرياق وهو عبارة عن خيم مبنية من ألواح الزنك!

بلغت مصاريف الإخلاءات نسبة 35% من مجموع مصاريف ملف المهجرين. وكان «بند الإخلاءات» هو الوحيد الذي أقفل وتنعّم من وردت أسماؤهم تحته (105 آلاف مستفيد) من إعفاءات من رسوم الماء والكهرباء والهاتف بواسطة ورقة صادرة عن الوزارة.

4- القسم الرابع يذكّر بقانون الوزارة الذي ينص على تكليف مجلس الإنماء والإعمار، بعد موافقة مجلس الوزراء، تنفيذ المشاريع التي تدخل ضمن اختصاصه وأبرزها البنى التحتية. لكن وزارة المهجرين والصندوق قاما بتلزيم المشاريع بشكل مباشر إلى المتعهدين من دون عرضها على مجلس الوزراء، ومن دون مناقصات أو المرور بمجلس الإنماء والإعمار. وجرى تلزيم كل المشاريع إلى المتعهدين أنفسهم.

5- في «القسم» الخامس، يتحدث الإخبار عن العقار رقم 308 بريح/ الشوف التي تفيد إفادته العقارية أن مساحته 30 متراً مربعاً إلا أن عدد طلبات تعويضات الإعمار المقبوضة عليه بلغت 12 طلباً، كل طلب تبلغ قيمته 20 ألف دولار.

6- في القسم السادس المتعلق بأذونات البناء، كان المدير العام للوزارة يصدر إفادات تأذن للمستفيد منها المباشرة بأعمال البناء في العقار التابع له بطريقة مخالفة لكل قوانين البناء والتنظيم المدني ومن خارج صلاحياته.

7- أما القسم الأخير فيتعلق بفسخ عقد مع موظف بسبب تغيّبه عن الحضور إلى الوظيفة طيلة فترة شغل الوزير غسان عطالله لمنصبه، ليتبين بعدها أنه يقيم خارج الأراضي اللبنانية، لكنه لا يزال يتقاضى راتبه من الدولة اللبنانية بغطاء من رئيسه المباشر ومن المدير العام.

هكذا وصلت الدعوى إلى القاضية عون

الملف القضائي الذي أعدّه وزير المهجرين غسان عطالله يشكل بنظره «أحد مزاريب الهدر التي ساهمت بكسر خزينة الدولة لمصلحة بعض الأحزاب وأزلامها وخدمة لمصالحها الانتخابية، ليتبين أن من استفاد من المهجرين وأصحاب البيوت المدمرة لا يتعدى الألفي شخص بينما، ثمة 100 ألف طلب من غير المستحقين وممن لا تنطبق عليهم المواصفات المطلوبة. وخلافاً لما يسوّق له الاشتراكيون، يقول عطالله إنه وجّه رسالة حول هذه المخالفات الإدارية وهدر المال العام والفساد الموصوف في الوزارة وصندوق المهجرين بتاريخ 2020/1/17 إلى وزير العدل آنذاك ألبرت سرحال، مرفقة بالوثائق والمستندات طالباً منه تحويلها إلى كل من النيابة العامة وهيئة القضايا في وزارة العدل لإجراء المقتضى القانوني. وزير العدل، «أحال الإخبار الى النائب العام التمييزي القاضي غسان عويدات الذي أحاله بدوره إلى المحامي العام التمييزي القاضي غسان خوري. إلا أن خوري تنحّى عن الملف، لذلك لَجَأتُ بنفسي إلى هيئة القضايا (في وزارة العدل) المسؤولة عن الحفاظ على أموال الدولة وممتلكاتها. وقد تحرّكت الهيئة على هذا الأساس ووكّلت أحد محاميها ويدعى ربيع فخري الدخول إلى الوزارة والتوسع في الملف. وفخري هو من طلب من الموظفين كشف حساباتهم منذ يوم دخولهم إلى الوزارة حتى اليوم. هكذا تمّ الاشتباه في بعض الموظفين». في الوقت عينه وبعد تنحي خوري، وصل الملف إلى القاضية كارلا قسيس التي أرسلت بطلب عطالله لإبلاغه أن الملف قديم وفارغ «فطلب المحامي 15 يوماً لتأمين الإضافات والمستندات المطلوبة، ما اضطرها لقبول الملف». وبناءً على طلب رئيس الحكومة حسان دياب، شكّل التفتيش المركزي لجنة لإجراء تحقيقات في الوزارة، استطاعت الوقوع على مخالفات قانونية منفّذة من الوزراء المتعاقبين من دون أن تصدر قراراً بعد.

لكنّ قرار هيئة القضايا، بحسب عطالله، «أحرج الجميع. وعند وصول الادّعاءات على الموظفين إلى مكتب عويدات يوم الأربعاء الماضي، هرع وليد جنبلاط للقاء رئيس مجلس النواب نبيه بري لضمان غطاء له». في هذا الوقت «حوّل عويدات الملف إلى النائبة العامة الاستئنافية في جبل لبنان غادة عون».

عن قصد أو عفواً بحصر قراره بمسؤولية التقصير والإهمال في انفجار مرفأ بيروت، بدل مسؤولية الجناة الفعليين وهويتهم الذين أحضروا أطنان نيترات الأمونيوم وخبّؤوها وحموها إلى أن انفجرت. نقل المحقّق العدلي فادي صوان المشكلة من بحثه عن مجرم إلى صنع بطل جديد

عبارة سحرية لدياب جعلته تلميذاً ناجحاً في مدرسة السنيورة (هيثم الموسوي)

في الواجهة

دياب تحت الخطّ الأحمر السُّنّي

نقولا ناصيف

طوال ثمانية أشهر في عمر حكومته، ثم - إلى الآن وحتى أمد غير معروف - أربعة أشهر في عمر تصريف أعمالها بعد استقالته، لم يحلم الرئيس حسان دياب بهدية ثمينة غير متوقّعة كالتي قدّمها إليه قبل يومين المحقق العدلي القاضي فادي صوان، عندما ادّعى عليه وثلاثة وزراء سابقين بتهمة الإهمال والتقصير في انفجار مرفأ بيروت في 4 آب. ما إن شاع خبر الادّعاء، حتى فُكّ الحصار السني الخانق المطبق على دياب من كل حدب في طائفته: ألدّ خصومه الرئيس المكلف سعد الحريري والرؤساء السابقون للحكومة ودار الإفتاء وسائر الشخصيات الدائرة في أفلاك هؤلاء مزيداً إليهم إطلاق العنان لهيئات وجمعيات تدافع عنه في معرض الدفاع عن موقع رئاسة الحكومة.

ما إن أطلق دياب عبارة سحرية فور تبلّغه ادّعاء صوان عليه، وهي أن المستهدف موقعه وليس هو رافضاً التعرّض إلى رئاسة مجلس الوزراء، حتى أضحى الرجل زعيماً في طائفته. لم يعد يُنظر إليه على غرار ما عومل طوال 33 يوماً من تكليفه، ثم ثمانية أشهر من ترؤّسه الحكومة، ثم حالياً الأشهر الأربعة الأخيرة في تصريف الأعمال على أنه منبوذ في الشارع السنّي، وخارج عليه. لم يكن يزوره أي من أسلافه. بالكاد تستقبله دار الإفتاء أو تتحدث إليه في مناسبات محدودة جداً. لم يُعوَّض هذا الفراغ بتوطيد علاقته برئيس الجمهورية ميشال عون، أو رئيس البرلمان نبيه برّي، أو حزب الله. تصرّف كأنه في غنى عنهم، ويكفيه المنصب. لا شارع سنّياً له كالرؤساء السابقين للحكومة، ولا كتلة نيابية تقف إلى جانبه. أشبه بمقطوع من شجرة. وهو كذلك. مُخوَّن لقبوله دخول السرايا على أنقاض الحريري. مع أنه ليس من رجالات طبقة العقود الثلاثة المنصرمة المتورّطة في الانهيار، إلا أنهم ألقوا عليه كل مثالبهم، فبات جزءاً من المشكلة بعدما صدّق أن ترؤسه الحكومة جزء من الحل.

قيل في رئيس الحكومة المستقبلة أكثر مما قيل في أربعة من أسلافه ظلمهم وجودهم في منصبهم في أسوأ محطات سياسية: سامي الصلح عام 1958 إبان «ثورة 1958»، وأمين الحافظ عام 1973 إبان النزاع المسلح اللبناني. الفلسطيني، والعميد أول الركن نور الدين الرفاعي عام 1975 في أولى سني الحرب، وشفيق الوزان عام 1983 تحت وطأة اتفاق 17 أيار والحرب السورية على لبنان. قيل عن هؤلاء، وكانوا في صلب الحيثية السنّية، إنهم تخلوا عن طائفتهم كي يقبلوا بالسلطة ويتضامنوا مع رئيس الجمهورية، فحوربوا من قياداتها بلا هوادة، وخرجوا مكسورين. أوشك الرئيس نجيب ميقاتي أن يكون من بين هؤلاء عندما ترأس حكومة 2011 بعد إسقاط المعارضة حكومة الحريري الابن الذي حرّض الشارعين الطرابلسي والبيروتي مذهبياً ضده، وحاول إظهاره كأنه خارج على طائفته. بعد وقت قصير هدأ الرئيس المكلف الحالي وفضّل السفر أربع سنوات خارج البلاد ما بين عامَي 2011 و2015، فيما استمر ميقاتي وحكومته سنتين.

دياب خامسهم في اللائحة تلك حتى البارحة، عندما أعادته الطائفة إلى حضنها وعدّته زعيماً جديداً لها يدخل من الباب الواسع. لعل خير معبّر عن ذلك أن الحريري الذي استقبل دياب دقائق في 20 كانون الأول 2019 كرئيس مكلف بوجه مقطب من غير أن يلتفت إليه، وقاطعه مذّاك له كما الرؤساء السابقون للحكومة، سارع إلى زيارته في السرايا للتضامن معه.

ما يقتضي قوله بأن العبارة السحرية تلك، يدين بها رئيس حكومة تصريف الأعمال إلى مدرسة الرئيس فؤاد السنيورة، الأب الأول لـ«الخط الأحمر السنّي». سابقة رَسَم هذا الخط حدثت في 2 كانون الأول 2006، عندما أمّ المفتي السابق الشيخ محمد رشيد قباني، بطلب من السنيورة، المصلين في القاعة الكبرى في السرايا، في رسالة إلى حزب الله مفادها أن السرايا صرح سنّي لا يسهل الوصول إليه إلا بنزاع مذهبي. حادثة لا مثيل لها حتى ذلك الوقت، وكانت جزءاً لا يتجزّأ من التحضير للاشتباك السنّي - الشيعي قبل أن ينفجر لاحقاً في 7 أيار 2008. تلاه «خط أحمر» ثان رسمه المفتي الخلف عبد اللطيف دريان من حول السنيورة أيضاً، من دون أن يكون رئيساً للحكومة أو نائباً حتى، في 4 آذار 2019، في ضوء ما سيق إلى الرئيس السابق للحكومة من اتهامات بإهدار 11 مليار دولار. تضامن معه الحريري ودريان من السرايا، فانقلب المشهد رأساً على عقب بأن بانت الطائفة السنّية كأنها هي بالذات المستهدفة. مذّاك صُرف النظر عن ذلك الموضوع بعدما اقتنن أي تعرّض محتمل للسنيورة بانزلاق إلى نزاع مذهبي جديد. عبرة الخط الأحمر الثاني أن اتهام أحد مهم في الطائفة بما سيق إلى الرجل، هو اتهام للطائفة كلها.

أعاد دياب اللعبة الناجحة نفسها. فإذا خبر الادّعاء عليه ثانوي، والمشكلة الجديدة الطارئة في البلاد أن ثمة طائفة برمّتها تصوّر نفسها الآن في دائرة الخطر والتهديد، وتضع نفسها في مواجهة خصم جديد لم تجرّبه من قبل هو القضاء، بعدما انضم مجلس القضاء الأعلى إلى قرار القاضي صوان ودافع عنه وبرّره. تسارعت ردود الفعل السلبية للقوى السياسية على الأثر كي تتجاوز التصويب على المحقّق العدلي لتثير الشبهات حيال القضاء، باتهامه تارة بانحيازه، وطوراً بقرارات استنسابية. هو نفسه مجلس القضاء الأعلى الذي ساندته القوى السياسية تلك، عندما جمّد رئيس الجمهورية التشكيلات الدبلوماسية.

شأن ما حدث في الخطين الأحمرين عامَي 2006 و2019، يؤذن ثالثهما بدفن التحقيق في انفجار مرفأ بيروت إلى غير رجعة، لئلا يُكتشف وجود سياسيين ونافذين ضالعين في ما يتخطّى الإهمال والتقصير، إلى إحضار نيترات الأمونيوم وحمايتها والتسبّب في انفجارها. قد يكون من باب لزوم ما لا يلزم القول بأن «غضب» الطائفة السنّية من ادّعاء القاضي صوان على رئيس للحكومة وثلاثة وزراء يمثلون مثالثة النظام، يفتح الباب أمام طوائف أخرى كي تعترض وتجد نفسها هي المستهدفة لا المتورطين من أبنائها.

> رمية من غير رام جعلت المنبوذ في طائفته زعيماً جديداً فيها

على الغلاف

من بين أكثر من 300 سلعة تضمّنتها سلة الدعم، لم يجد المسؤولون، بين الحليب المحلّى المكثّف والكاجو، مكاناً للفوط الصحية أو لمستلزمات النظافة الشخصية التي زادت أسعارها بنسبة 500٪. دعم الفوط الصحية ليس ترفاً، بل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصحة الجنسية والإنجابية للنساء، ويهدّد غلاؤها بوضع لبنان في خانة الدول النامية المصابة بـ«فقر الدورة الشهرية»!

ارتفاع أسعار الفوط الصحية بنسبة 70٪
لبنان مهدّد بـ«فقر الدورة الشهريّة»

هديل فرفور

مهما بدت قضية عدم شمول الفوط الصحية في سلّة الدعم هامشية بالنسبة إلى كثيرين، في ظلّ زحمة القضايا المعيشية، فإنّها تبقى، رغم كل محاولات تسخيفها، انعكاساً فادحاً لذكورية صنّاع القرار في لبنان، وشاهداً على غياب حساسيتهم تجاه أبسط حقوق النساء التي غالباً ما تُهمَش بحجة الأولويات.

وفق صندوق الأمم المتحدة للسكان، وبإجماع الأطباء والاختصاصيّين المعنيين، ثمّة ارتباط جوهري بين الكرامة الإنسانية وبين «إدارة العادات الصحية أثناء الدورة الشهرية». وعليه، فإنّ المسّ بمستلزمات هذه «الإدارة» يُعدّ تعدّياً على الكرامة وانتهاكاً لحقوق الإنسان، باعتبار أن عدم تمكّن الفتيات والنساء من الوصول إلى مرافق الاستحمام والوسائل الآمنة للحيض هو فعل انتقاص لكرامتهن نظراً إلى المخاطر التي تتهدد صحتهن الجنسية والإنجابية الناجمة عن إهمال تلك الوسائل.

تقديرات جمعية حماية المُستهلك تشير إلى ارتفاع أسعار الفوط الصحية بفعل الأزمة الاقتصادية بنحو 70% (من 2750 ليرة الى 6500 ليرة لبعض الأصناف، ومن 4750 ليرة إلى 11500 ليرة لأصناف أخرى... وهكذا)، وذلك لأنّ غالبية الأصناف يتم استيرادها فيما «الصنف الوطني الوحيد» الذي تصنّعه محلياً شركة «سانيتا»، ارتفع سعره أيضاً، بسبب اعتماده على المواد الأولية المستوردة. وهذا «يدحض مزاعم وزارة الاقتصاد التي التفّت على مطلب دعم الفوط الصحية بإعلانها دعم المواد الأولية التي تدخل في صناعتها داخلياً»، بحسب المديرة التنفيذية بالشراكة في منظمة female عليا عواضة.

عواضة نبّهت، في اتصال مع «الأخبار»، إلى أن الارتفاع الكبير في أسعار الفوط الصحية سيؤثّر حكماً على الصحة الجنسية للنساء «نظراً إلى اضطرارهن إلى استخدام نوعيات أقل جودة قد تُسبّب لهن أمراضاً تناسلية ما يرتّب أكلافاً صحية إضافية». وهو ما تؤكده «الجمعية اللبنانية للتوليد والأمراض النسائية» حول تأثير النظافة الشخصية على الصحة الإنجابية والجنسية للمرأة التي قد تصاب بمشاكل تحسّس والتهابات، ما لم تكن الأدوات المتعلقة بالدورة الشهرية والنظافة الشخصية متاحة بشكل يضمن لها كرامتها ولا يتهدد مساحتها الشخصية.

هذا كله يعني أن إسقاط الدعم عن الفوط الصحية وما يرافقها من مستلزمات للعادة الشهرية هو بمثابة عنف مؤسساتي يمارس على الفتيات والنساء العاجزات عن تامينها.

وفي ظلّ تفاقم الوضع الاقتصادي وما سيرافقه من ارتفاع مرتقب في نسب الأسر الفقيرة العاجزة عن تامين أدنى مقوّمات الحياة المعيشية، واشتداد الفقر على الأسر الأكثر هشاشة، فإنّ لبنان لن يكون بعيداً عما يُعرف بـ«فقر الدورة الشهرية»، وهو مُصطلح «خاص» بالدول النامية، حيث تحول العوائق المادية بين النساء والفتيات ذوات الدخل المنخفض وبين شراء منتجات الدورة الشهرية. والمصطلح يوصّف العبء المالي الذي تشكّله «إمدادات» الدورة الشهرية التي لا تشمل فقط المناديل الصحية والسدادات القطنية، بل تطاول أيضاً التكاليف ذات الصلة مثل مسكّنات الألم والملابس الداخلية. وعليه، فإنّ تامين هذه الإمدادات، بحسب ممثلة منظمة الصحة العالمية في لبنان إيمان الشنقيطي، «جزء من الحفاظ على صحة النساء، لأن الحياة الصحية حياة متكاملة ولا تتجزّأ». الشنقيطي شدّدت على ضرورة تامين المستلزمات الصحية الأساسية، خصوصاً في حالات الطوارئ والأوبئة، ومن ضمنها تامين الأدوات التي تساعد في الحفاظ على الصحة الجنسية والإنجابية للنساء.

حالياً، لا يبدو أن أياً من الجهات المسؤولة تأخذ في الاعتبار هذا الشق الحياتي الخاص بالنساء، إذ لا يزال توزيع الرزم الصحية (الفوط وغيرها من المستلزمات) محصوراً بالجمعيات الأهلية «التي لا تستطيع بدورها توزيعها شهرياً»، وفق عواضة، مُشيرةً إلى ضرورة التوصل إلى حلّ طويل الأمد يبدأ بدعم احتياجات النساء وتخفيف الضرائب على المواد المستوردة من الخارج «لأن النساء العاجزات عن تامين ربطة الخبز لعائلاتهن سيكنّ أمام خيار المفاضلة عند كل شهر بين شراء القوت اليومي أو اقتناء الفوط الصحية ذات الحد الأدنى من الجودة»، ناهيك بالإمدادات الأخرى كالمياه والأدوية والمسكّنات، والتي تشكّل عبئاً إضافياً يزيد من المعاناة التي ستحلّ بكثير من الفتيات والنساء.

> الارتفاع الكبير في أسعار الفوط الصحية سيؤثّر حكماً على الصحة الجنسية للنساء

(هيثم الموسوي)

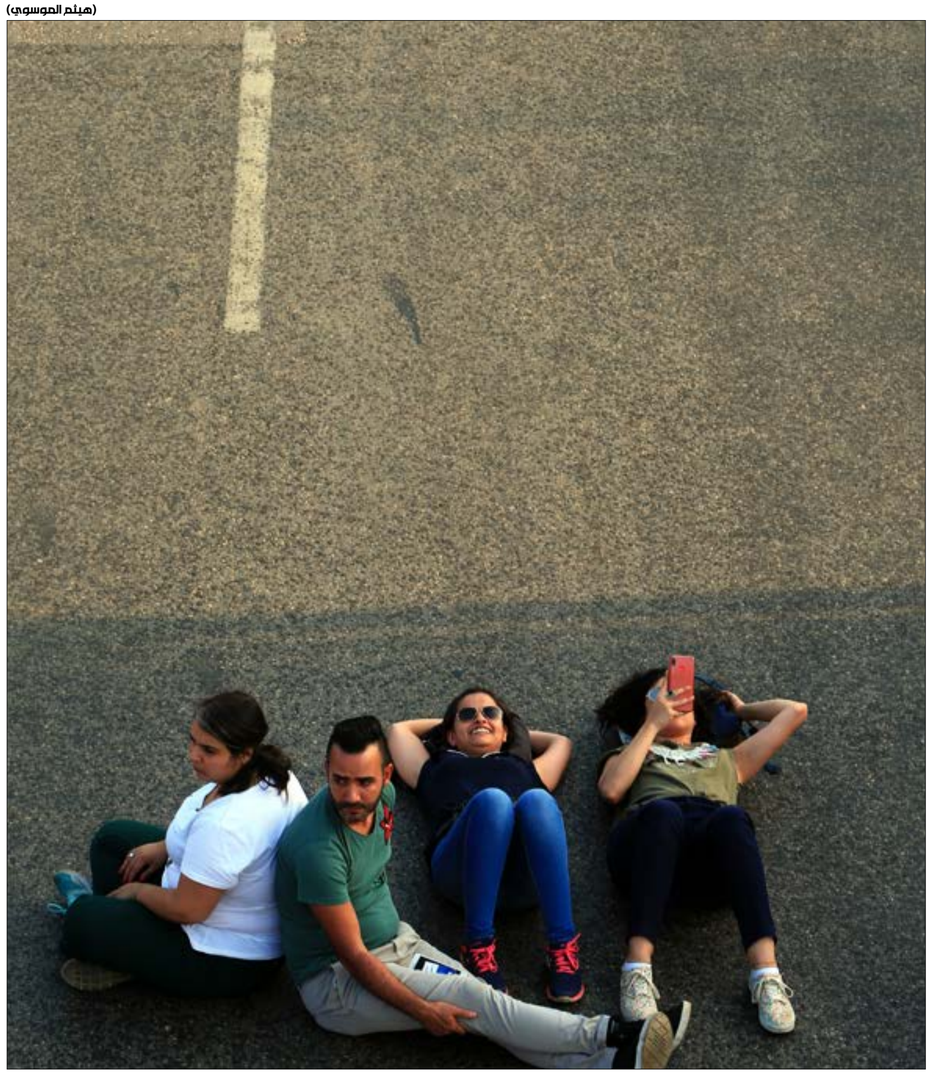

500٪ نسبة ارتفاع أسعار مستلزمات الحماية الشخصية

لفتت نائبة رئيس جمعية حماية المُستهلك ندى نعمة إلى أن نسب ارتفاع أسعار مستلزمات الحماية الشخصية وصلت أحياناً إلى 500%، مُشيرةً إلى ارتفاع أسعار معجون الأسنان بنسبة 75% والشامبو بنسبة 80% فيما تجاوزت نسب ارتفاع أسعار بعض المطهّرات 78%. وأشارت إلى أن عدم دعم أدوات النظافة الشخصية يعني الاستهتار بصحة المُقيمين، «فكيف يتم دعم الجوز، مثلاً، فيما تُهمل أدوات العناية بالفم والأسنان؟». وفي هذا السياق، شدّدت ممثلة منظمة الصحة العالمية إيمان الشنقيطي على أهمية الحفاظ على صحة الفم والأسنان خلال فترة الوباء والطوارئ لأن «الصحة كلّ لا يتجزأ». وعليه، فإن أي مسّ بالأدوات التي من شأنها أن تحافظ على صحة المُقيمين يعني تشريع تعريض صحتهم للخطر.

تحقيق

ميلاد من دون هدايا.... و«بابا نويل» محجور!

(مروان بو حيدر)

رضا صوايا

هذا العام ستهتز صورة «بابا نويل». مع ارتفاع سعر صرف الدولار، لن يكون العجوز الملتحي القادم من القطب الشمالي قادراً على تلبية رغبات كثيرين ممن ينتظرونه. قلّة فقط ستنعم بهداياه التي ارتفعت أسعارها أكثر من خمسة أضعاف عمّا كانت عليه في «زيارته» الماضية.

في الأسواق «حركة» على ما يقول أصحاب متاجر الألعاب، تفوق ما كانوا يتوقعونه، لكنها تبقى حركة خجولة وقاصرة عن تعويض الخسائر أو تحقيق أي أرباح تذكر. ووفقاً لمعنيين في هذا المجال، تشكل مبيعات عيد الميلاد 60% إلى 70% من حجم المبيعات السنوية لهذا القطاع. لكن، حتى اللحظة، فإن حجم الأعمال يقلّ بنسبة 70% عمّا كان عليه في مثل هذه الفترة من السنة في الأعوام السابقة. كما تراجع الاستيراد بنسب تفوق 80%، وتتكل غالبية المتاجر على «ستوكات» العام الماضي التي لم يُبَع معظمها، لتزامن فترة الأعياد مع حراك 17 تشرين وما رافقه من احتجاجات وإغلاق.

التمسك بتقاليد العيد، ولو في الحد الأدنى، هو ما يتسبّب في «شبه الحركة»، ولكن مع تغيّر في نمط الإنفاق وفي الاختيارات. يؤكد حسن غملوش، صاحب متجر «كادو غملوش»، أن «80% من الزبائن يبحثون اليوم عن الهدايا الأرخص. همهم تامين هدية ولو رمزية للأولاد. والعائلة التي لديها ولدان أو ثلاثة كانت تنفق بين 500 ألف ليرة و750 ألفاً على شراء الألعاب. اليوم، يحاول هؤلاء شراء ألعاب للجميع بـ100 ألف ليرة». ويضيف: «الـ100 ألف ليرة كانت تشتري في الحد الأدنى 3 هدايا أو هديتين كبيرتين. اليوم باتت تساوي 15 دولاراً، ولك أن تتخيل ما يمكن تشتريه؟».

واقع انعكس على نوعية الهدايا، إذ يشير أحمد قاروط، صاحب متجر «قاروط تويز» في منطقة سليم سلام، الى «عودة لافتة إلى الوراء من حيث نوعية الهدايا التي تميل غالبيتها العظمى إلى البساطة». وفي هذا السياق، يوضح غملوش أن «الطلب ازداد على ألعاب كان كثيرون قد توقفوا عن شرائها منذ سنوات طويلة. نتحدث عن ألعاب نسيناها منذ 10 إلى 15 سنة. فقط فئة محدودة لا تزال قادرة اليوم على شراء ألعاب إلكترونية متطورة، فيما الغالبية عادت إلى الألعاب البلاستيكية البسيطة».

على سبيل المثال، منزل دمية يبلغ سعره في أحد المتاجر 840 ألف ليرة، ما يكفي لسداد دفعة إسكان لمنزل، ولعبة جيب نوع «هامر» سعرها 560 ألف ليرة، فيما يبلغ سعر لعبة Parking Lot نحو 460 ألف ليرة، أي أقل بقليل ممّا قد يتقاضاه عامل Valet Parking. أما الـPlay Station 5 التي أطلقتها الشركة منذ شهر في الأسواق، فيبلغ سعرها في لبنان 1200 دولار، أي نحو 10 ملايين ليرة، ما كان يكفي لشراء سيارة صغيرة. يسأل أحد الآباء: «ممّا تشكو الـ Monopoly. سعرها 38 ألف ليرة، وهي لعبة ممتازة تعلمنا كيف نستثمر أموالنا في العقارات عوض وضعها في المصارف»!

«ناس ما بتسأل، وناس ما عم تقدر تشتري»، هكذا تلخص سابين بجاني، صاحبة متجر «Big Fun» في المنصورية، كيف انقسم اللبنانيون بين من يملكون دولارات ومن لا يملكونها. وتلفت الى أن متجرها افتقد كثيرين من زبائنه المعتادين، لكن «عدداً من الزبائن طلبوا ألعاباً محددة مسبقاً وأوصوا عليها، رغم أن أسعار بعضها يصل إلى مليوني ليرة. واللافت أنها بيعت بأكملها بعد يوم واحد من وصولها»!

إن كان من «حسنة» لـ«كورونا»، فهي أنها ستشكّل هذا العام الحجة الأبرز لتبرير عدم قدرة «بابا نويل» على تلبية الطلبات هذا العام. رشا ستخبر أولادها بأن «بابا نويل أصيب بالكورونا وسيضطر إلى حجر نفسه في المنزل. والله يعيننا إذا وجدوا علاجاً لكورونا قبل العيد». أما ليال التي تمكنت من شراء هدية متواضعة لابنها، فستشرح له أن السبب يعود إلى «أن بابا نويل وجد المحال مقفلة بسبب كورونا. والحمد لله أننا نعيش في محيط يشبهنا حتى لا تنفضح كذبتنا».

> تراجع حجم الأعمال 70٪ وعودة الإقبال على الألعاب البلاستيكية

كورونا

السجون خارج السيطرة... والإصابات 200 ألف في نهاية العام؟

رأجانا حمية

عاد مؤشر فيروس كورونا إلى الارتفاع مع تسجيل 1518 إصابة جديدة رفعت العدد الإجمالي للإصابات إلى 46058. هذا الصعود يولد خشية، اليوم، لدى المتابعين لملف كورونا من الوصول إلى أرقام لا تُحمد عقباها. ومن بين هؤلاء رئيس اللجنة الوطنية للأمراض السارية والمعدية، الدكتور عبد الرحمن البزري الذي تخوّف من «تجاوز رقم الـ200 ألف إصابة نهاية العام الجاري في حال استمر الارتفاع على هذه الوتيرة».

يبدو هذا السيناريو هو الأقرب إلى واقع الأرقام التي يسجّلها العدّاد، والتي تحلّق في عددٍ من المحافظات، ولا سيما محافظة بعلبك التي لا تزال غالبية قراها معزولة، واليوم يداهم الخطر محافظة عكار مع ازدياد أعداد الإصابات فيها، والتي سجّلت أمس وحده 61 إصابة دفعة واحدة. وبهذا الرقم، يبلغ عدّاد الإصابات في عكار 3327 إصابة، ويتمدّد الخطر، أيضاً، ليطاول السجون اللبنانية التي أُعلن أمس عن آخر تطورات الأعداد فيها. وبحسب شعبة العلاقات العامة في قوى الأمن الداخلي، بلغ عدد الإصابات في سجن روميه وحده 585 حالة إيجابية من أصل 1808 فحوصات مخبرية، من بينها حالة في سجن القاصرات. وهذا إن عنى شيء، فهو أن وضع كورونا بات خارج السيطرة في البلاد. وفي هذا الإطار، يردّ البزري أسباب هذا الانفلات إلى «عدم الالتزام بالتدابير الوقائية وبالعودة المنضبطة إلى الحياة الطبيعية»، وأن الأمور «ذاهبة إلى أبعد من ذلك بكثير».

لم تعد ثمّة خيارات في مواجهة كورونا سوى انتظار اللقاحات. لا الإقفال العام أتى بنتيجة، ولا هو ممكن اليوم العودة إليه أصلاً، ولا الناس قادرون على التزام الإجراءات. وهذا ما يدركه المعنيون، وعلى رأسهم وزارة الصحة العامة التي تستعجل توقيع الاتفاقية المتعلقة بحصة لبنان من اللقاحات من شركة فايزر. وفي هذا الإطار، شدّد وزير الصحة العامة، حمد حسن، على أن لبنان ينتظر تحصيل شركة فايزر الموافقة على التجارب من قبل منظمة الـFDA كي يوقع الاتفاقية مع الشركة.

على خطٍّ آخر، أجرى فريق تابع لمنظمة الصحة العالمية تقييماً لما حقّقه لبنان إلى الآن في مواجهة وباء كورونا وتحديد ما تمّ إنجازه وما يجب إنجازه في المرحلة المقبلة لسدّ الثغرات. وقد شمل التقييم عدداً من المؤسسات الاستشفائية، وخرج الوفد بخلاصة أن «لبنان، بالكفاءات الموجودة والإمكانات المتاحة، قدّم أداء أفضل بكثير من البلدان المجاورة»، مع الأمل «بالاستمرار على النهج نفسه في الفحوص والتتبّع وإدارة الحالات والتواصل».

الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول:
ابراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير:
بيار أبي صعب

■ مدير التحرير:
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير:
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري

■ صادرة عن شركة
أخبار بيروت

■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس:
01759500
01759597
■ ص.ب 113/5963

■ الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500

■ التوزيع
شركة الأوائل
01 / 666314ـ15 ـ
03 / 828381

■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

كيف يمكن تعطيل النظام الديموقراطي الأميركي؟

أسعد أبو خليل *

لا شكّ في أنّ الأنظمة الديموقراطيّة الغربيّة - ومعها إسرائيل - تعرّت في السنوات الماضية. والدولة العبريّة لم تكن يوماً دولة ديموقراطيّة بحقّ، بحكم التقييدات والتمييز الذي لحق بإنشاء الكيان المبني على طرد السكّان الأصليّين، والتعامل مع الأقليّة العربيّة المتبقية (والتي كان السماح لها بالبقاء من ضرورات تصدير زيف النموذج الصهيوني). لكنّ الأنظمة الغربيّة روّجت لنفسها، في سنوات الحرب الباردة، على أنّها النموذج المحتذى الذي يكتمل باقتفائه التاريخ الإنساني. وصاحب تجربة الديموقراطيّات الغربيّة بعد الحرب العالمية الثانية، الحاجة إلى بروباغندا مؤثّرة ضدّ الشيوعيّة، فتحوّل نظام الانتخابات الدوريّة (مع حريّة محدودة للأحزاب والمناظرة الانتخابية) إلى عقيدة مؤثّرة تسلب العقول وتزرع إيماناً دينيّاً بقدرة الديموقراطيّة (الشكلية) على حلّ كلّ مشاكل المجتمع: هل يختلف شعار الإسلاميّين (القديم، لأنّه فقد جاذبيّته) «الإسلام هو الحل» عن الشعار الليبرالي الرائج، الذي يختم به علاء الأسواني مقالاته، «الديموقراطيّة هي الحلّ»؟ وكما أنّ الشعار الإسلامي يفتقر إلى حلول خارج الشعار العاطفي، فإنّ شعار الديموقراطيّة لا يبدو أنّه يقدّم حلّاً بناءً على الأزمات المتعصّبة في الدول الغربيّة.

يميّز الكتّاب الغربيّون بين الديموقراطيّات الغربيّة والديموقراطيات غير الليبراليّة في الغرب (مثل كتاب آن أبلباوم الأخير، «غسق الديموقراطيّة: جذب التسلّطية المغري» - والمؤلّفة من عتاة أعداء الشيوعيّين، وهي لا تزال تلوم لينين على ما لحق بالكوكب من ظلم وتسلّط). وهم بذلك يلحظون ظواهر مثل فكتور أوربان في المجر، أو ياروسلاف كاجنسكي في بولنده (وحتى بنيامين نتنياهو في إسرائيل) ويعتبرونها مغايرة للديموقراطيّة الحقّة. لكن النوازع غير الليبراليّة في الديموقراطيّات الغربيّة ليست جديدة. الرئيس روزفلت حكم حكماً مطلقاً وسيطر على مختلف السلطات، بما فيها السلطة القضائيّة التي هدّد محكمتها العليا بحشر أعضاء جدد موالين له فيها، لو هم لم ينصاعوا في الموافقة على تشريعاته (في فترة حكمه لم يكن الكونغرس إلا منفّذاً لرغباته التشريعيّة). والحكم في أميركا، خلال سنوات الحرب العالمية الأولى والثانية، كان حكماً بوليسيّاً فدراليّاً يحيل بتهمة التخوين مَن يرفع صوته ضدّ سياسات حربيّة (وتعرّض الأميركيّون من أصل ألماني لظلم فظيع في الحرب العالمية الأولى، كما تعرّض الأميركيّون من أصل ياباني لظلم فظيع في الحرب العالمية الثانية). الرئيس الأميركي، تيودور روزفلت، لاحظ ذلك في مطلع القرن العشرين، وعلّق قائلاً إنّ الواجب الوطني يكون بالامتناع عن الامتثال لفرض طاعة الرئيس، خصوصاً في سنوات الحرب. وباسم مكافحة الشيوعيّة، فرضت ديموقراطيّات الغرب ضوابط غير ديموقراطيّة لمنع الشيوعيّين من الفوز، ولو اقتراعيّاً في تلك الدول: من الإنفاق الأميركي (والسعودي) الهائل في إيطاليا لمنع فوز الحزب الشيوعي هناك، إلى الحروب المتنوّعة ضد الشيوعيّة والشيوعيّين في أميركا (يختصر مصطلح الـ«مكارثيّة») تجربة بدأت قبل السناتور جو مكارثي واستمرّت بعده لسنوات طويلة). وحدها الديموقراطيّات الاسكندنافيّة حاولت أن تختطّ نظاماً يزاوج بين الديموقراطيّة الاجتماعيّة وشكل الديموقراطيّة البورجوازيّة. ولم يكن هناك إجماع في دول الغرب على أحقيّة نموذج الديموقراطيّة الاجتماعيّة المتطرّف - بنظر الديموقراطيّات الغربيّة الأساسيّة التي قرّرت مصير التحالف الغربي ضد الشيوعيّة.

أدّى انهيار الاتحاد السوفياتي إلى تقلّص الحريّات في دول الغرب لأسباب عديدة. ليس الأمر يتعلّق فقط بزوال الأسباب الدعائيّة التي كانت تجعل دول الغرب تبالغ في إظهار محاسن أنظمتها. وهذا الجانب لم يخفّف من وقاحة ديموقراطيّات الغرب في الترويج لنماذجها: الحكومة الأميركيّة كانت تضحّ الدعاية السياسيّة عن الحريّات في أرجائها، فيما كانت الشرطة الأميركيّة تواجه المحتجّين السود في معظم ولايات الجنوب، وكان حضور طالبة سوداء إلى جامعة مختلطة يتطلّب إرسال الجيش إلى جورجيا أو ألاباما، لأنّ الأكثريّة البيضاء كانت تعترض على تنفيذ حكم قضائي في رفع الحظر عن الخلط الاجتماعي العرقي. وترافق انهيار الاتحاد السوفياتي مع موجات من الهجرة من دول متعدّدة ومن أزمات اقتصاديّة، لم تعد البروباغندا الرأسماليّة قادرة على إخفائها. الفروقات الطبقية ازدادت عبر العقود، وحصّة النخبة الثريّة من الثروة الوطنيّة ازدادت، فيما انحدر مستوى معيشة الطبقة الوسطى في معظم دول الغرب الرأسمالية، ولم تعد الشهادة الجامعيّة - ولا حتى شهادة الدكتوراه - ضمانة للترقّي الاجتماعي. والحرب على الإرهاب سمحت لدول الغرب بتقييد الحريّات ومحاربة الفقراء والمهاجرين بحجّة الأمن. والأكثريّة العرقيّة والإثنيّة تحيّذ زيادة القمع البوليسي، لعلمها أنّ القمع سيطال فئات دون غيرها.

لم يكن - أو ليس - دونالد ترامب حالة عابرة، كما أنّ حركة اليمين العنصري الإسلاموفوبي ليست حالة عابرة في أوروبا. ترامب هو نتاج حالة تعتمل في صفّ الجمهوريّين والمحافظين غير التقليديّين، منذ انتخاب باراك أوباما في عام 2008، وظهور «حزب الشاي». وظهور مرشحة نائبة الرئاسة، سارة بالين، في قائمة جون ماكّين في العام ذاته، أطلق العنان للجمهور الذي وجد في ترامب ضالّته. ترامب لم يكن يوماً عقائديّاً، وهو أقرب في أهوائه من الديموقراطيّين المحافظين أو الجمهوريّين الليبرتاريّين: أي لبيرالي في القضايا الاجتماعيّة ومحافظ في القضايا الاقتصاديّة. وحكماً لا يريد الأثرياء توزيع الثروة لإحداث تعديل طفيف في نسب العدل الاجتماعي. إنّ «حزب الشاي» لم يجد زعيمه، وسارة بالين تحوّلت إلى نجمة تلفزيونية، ولم تحسن قيادة الحركة الشعبيّة المحافظة.

أمّا معالم أو منطلقات الحركة المحافظة الجديدة التي تمرّدت على الحزب الجمهوري، فتتمثّل في الاعتراض على النتائج السياسيّة للتغيّر الديموغرافي الهائل لمصلحة الملوّنين. لم يفقد البيض حظوتهم في الاقتصاد أو المجتمع أو النظام السياسي، لكن هناك خوف حقيقي من نتائج ارتفاع نسبة المهاجرين غير البيض في السكّان. كذلك، فإنّ ثقافة الليبراليّة التعدّدية القائلة بالتنوّع تستفز العنصريّين البيض. كما أنّ لهجة الليبراليّة الديموقراطيّة نخبويّة طبقيّاً وتتعامل مع الفقراء (من كلّ الألوان) باستعلاء ثقافي واضح. والحلول الاجتماعيّة بين الحزبيّن تركت حالة من عدم الاستقرار المعيشي عند العمّال الصناعيّين. هؤلاء البيض الذين يفتقرون إلى شهادة جامعيّة، ولا يستطيعون دخول وظائف التكنولوجيا والاتصال الحديثة تحوّلوا نحو الحزب الجمهوري الغاضب.

إنّ الحالة الترامبيّة خطرة على صورة الحكومة الأميركيّة وعلى مصالحها الإمبراطورية. لعب تدخّل أجهزة الاستخبارات الصفيق في الانتخابات الأخيرة، وتعاونها العلني مع وسائل الإعلام التقليدية لإسقاط ترامب، دوراً في ترجيح كفّة جو بايدن. ليس ترامب مصاباً بالجنون عندما يرغي ويزبد في اتهام خصومه بتزوير الانتخابات. هذه الانتخابات كانت بالفعل مزوّرة، لكن ليس بالصورة التي يرسمها ترامب، عن إهمال أصوات كانت في مصلحته وزيادة مصطنعة في عدد أصوات بايدن (لكن، كما تساءل تلميذ لي بعد الانتخابات، هل يمكن استبعاد إمكانيّة ارتكاب «أعمال قذرة» من قبل أجهزة استخبارات متمرّسة في تعطيل انتخابات أو تقرير نتائجها في دول العالم الثالث؟). إنّ الحملة الإعلامية المستمرّة من دون هوادة، منذ انتخاب ترامب، كانت مرسومة من أجهزة الاستخبارات والقيادة العسكريّة، أكثر ممّا كانت تُرسم في غرف الأخبار في الصحف الكبرى. بات لأجهزة الاستخبارات كتّاب عواميد (وليس هذا بالجديد، طبعاً): مقالات ديفيد أغناطيوس في «واشنطن بوست» ليست إلا منبراً لأجهزة الاستخبارات الأميركيّة لتؤثّر في النقاش العام، في الكونغرس وخارجه. وكلّ التسريبات التي حوّتها صفحات «نيويورك تايمز» كانت من عمل الاستخبارات: وليس سرّاً أنّ الشخص الذي سرّب فحوى المكالمة بين ترامب والرئيس الأوكراني كان عضواً في الاستخبارات المركزيّة ومنتدباً للعمل في البيت الأبيض. وهذا التسريب أدّى إلى محاكمة الرئيس الأميركي تمهيداً لعزله.

البلاد منقسمة طبقيّاً وأيديولوجيّاً وحتى عرقيّاً. الحزب الجمهوري بات حزب المزارعين سكّان الولايات القليلة الكثافة السكّانية، فيما يحتلّ الحزب الديموقراطي الأكثريّة في الولايات المكتظّة في الأطراف. والحزب الديموقراطي فقد الأكثريّة البيضاء في ولايات الجنوب (حيث لم يكن هناك وجود للعمّال الصناعيّين، الذين كانوا عماد قوّة الحزب الديموقراطي) بسبب قانون «الحقوق المدنيّة»، في عام 1964، الذي أغاظ البيض وأنهى حلمهم في الافتراق العرقي. تحوّل الحزب الجمهوري إلى حزب النقمة البيضاء، ضدّ حزب يستحوذ على تأييد السود واللاتينيّين والآسيويّين والعرب والمسلمين والشباب والنساء من الملوّنات (ليس صحيحاً أنّ الحزب الديموقراطي يحظى بتأييد غالبيّة النساء بالمطلق: هو يستحوذ على تأييد معظم النساء، لكن بين البيض فإنّ ترامب حاز تأييد النساء بتسع نقاط مقارنة ببايدن). لكن هناك الجانب النخبوي أيضاً: الحزب الديموقراطي يستحوذ على تأييد المتعلّمين الجامعيّين وسكّان المدن الكوزموبوليتية، فيما يجد الحزب الجمهوري تأييده الكبير من حملة شهادات الثانويّة (أو ما دون) وبين العمّال الفقراء والبيض الذكور بصورة عامّة (وليس صحيحاً النظرة النمطيّة أنّ الحزب الجمهوري يمثّل الأثرياء: فالأثرياء يتوزّعون بين الحزبيْن، والشركات الكبرى كانت أميَل إلى بايدن لأنّها رأت فيه استقراراً للمصالح الأميركيّة. وليس صدفة أنّ مستشار ترامب للشؤون الاقتصاديّة، لاري كدلو، هنّأ جانيت يلن على اختيارها وزيرة خزانة في حكومة بايدن، واعتبر أنّ ذلك مُطمئِن لـ«وول ستريت». ويقول وزير العمل في حكومة بيل كلينتون، روبرت رايخ، في كتابه «موصد في الحكومة» عن تجربته، أنّه لم يرَ في حياته هذا الاهتمام في كلّ نقاش حكومي بموقف أو رد فعل «الشارع»، في إشارة إلى المصالح المالية الكبرى في «وول ستريت»، والتي كان كلينتون شديد الحرص على أخذها في عين الاعتبار في قراراته).

صحيح أنّ الجمهوريّين يحسّنون تمثيلهم عبر ما يسمّى «جيريماندرينغ» (ويعود الأصل الايتمولوجي للكلمة إلى أوائل القرن التاسع عشر، وهي تشير إلى الرسم المُغرض للدوائر الانتخابيّة لخدمة غرض حزب أو عرق ما في التمثيل). ورسم الدوائر الانتخابيّة يحدّد الفائز إلى حدّ كبير - يعلم وليد جنبلاط عن هذا الكثير، إذ إنه كان بالتنسيق مع المخابرات السوريّة يرسم الدوائر الانتخابيّة في الجبل بطريقة تضمن له كتلة مضخّمة. لا يعلم الجمهور العربي أنّ النتائج في انتخابات الكونغرس تكون معروفة مسبقاً، ولا يكون هناك لغز حول نتائج الانتخابات إلّا في عدد قليل جداً من المقاعد. ويحقّ للأكثريّة في المجالس الاشتراعيّة في الولايات رسم الدوائر الانتخابيّة على هواها، من دون حسيب أو رقيب (يمكن الاعتراض للسلطة القضائيّة التي تحسم إذا ما كان رسم الدائرة هنا أو هناك يتعارض مع الدستور، أو مع الشروط المطلوبة لرسم الدائرة).

لم تقترب أميركا من الحكم الفردي الاستبدادي كما تقترب في هذه الحقبة. هناك حالة خوف حقيقيّة بين العامّة - أو بين أنصار الحزب الديموقراطي وبين أهل المؤسسة الحاكمة - على استمراريّة النظام الديموقراطي. خرق ترامب العديد من الأعراف وحتى القوانين في سنواته الأربع. لم يكن هناك ضغط سياسي مباشر على أجهزة الاستخبارات لخدمة المصالح السياسيّة للرئيس، منذ السبعينيّات في عهد ريتشارد نيكسون. تجنّب الرؤساء بعده إعادة الكرّة خوفاً من المحاكمة والعزل. لكنّ ترامب يتمتّع بشعبيّة فائقة بين أوساط حزبه المتراص، إلى درجة أنّه حتى الذين يختلفون مع توجّهاته لا يجرؤون على الاعتراض أو النقد اللطيف، لأنّهم بذلك يستعدون جمهورهم وأنصارهم الذين يؤيّدون ترامب ظالماً أو مظلوماً. أكثر من تسعين في المئة من أنصار الحزب الجمهوري يؤيّدون ترامب. كما أنّ نسبة الذين أيّدوا ترامب لأنّه ترامب، تفوق أكثر بكثير نسبة الذين أيّدوا بايدن لشخصه (نحو 54% صوّتوا لبايدن في تصويت موجّه ضد ترامب). لكن هل يمكن لترامب أن يستولي على الحكم؟

نظريّاً، وفعليّاً، يمكن لترامب أن يمضي في غيّه الدستوري معتمداً على المحكمة الدستوريّة العليا. وسلطات المحكمة العليا الحصريّة في تفسير الدستور (أو ما يُسمّى «المراجعة القضائيّة») هي سلطة متنزعة ولا ترد في الدستور، ولم تبرز إلّا في أوائل القرن التاسع عشر) تعطي صلاحية استبداديّة مطلقة (مطلقة بمعنى أنها لا تُردّ، لا يستطيع الرئيس الأميركي ولا الكونغرس ردّ قرارات المحكمة العليا، فيما يستطيع الرئيس الأميركي أن يردّ بفيتو على تصويت الكونغرس على مشروع قانون، ويستطيع الكونغرس عكس الفيتو الرئاسي بأكثريّة الثلثيْن في المجلسين، الشيوخ والنواب). المحكمة العليا تدخّلت بصورة صفيقة وفاعلة في تقرير مصير انتخابات عام 2000. وانقسام الشعب الأميركي إلى نصفيْن متقاربيْن، سيزيد من حالات النتائج الانتخابيّة المتقاربة. وهذه النتائج المتقاربة تسهم في تحويل الإشكالات والشكوك إلى المحكمة العليا في الولاية، أو هي تُرفع إلى المحكمة العُليا الفدراليّة. أي يمكن لتسعة أشخاص في المحكمة العليا تقرير مصائر الانتخابات الرئاسيّة.

ترامب سارع إلى تعيين بديلة في المحكمة الفدراليّة العليا عن روث بيدر غزنبرغ، بعد وفاتها بقليل، لأنّه عوّل على دور فاصل للمحكمة في تقرير نتائج الانتخابات. ويستطيع الرئيس، لو أراد البقاء في السلطة، تعيين عدد إضافي عن التسعة أعضاء في المحكمة، وذلك لدفعها إلى اتخاذ قرارات في مصلحته السياسية. وهذا أسرع طريق للاستيلاء على السلطة بطرق قانونية (في بولنده، حدث العكس في طريق تعزيز سلطة الحاكم، إذ إنّ حزب «القانون والعدل» قصّ جوانح السلطة القضائيّة). وليس هناك ما يمنع الرئيس الأميركي في أثناء ولايته (إذا كان يتمتّع باكثريّة في مجلس الشيوخ، الذي عليه أن يوافق على تعيينات الرئيس للمحاكم الفدراليّة) من زيادة أعضاء المحكمة العليا. المحكمة العليا الحالية تميل بنسبة 6-3 لصالح الجمهوريّين. فرانكلين روزفلت كان قد هدّد المحكمة العليا بزيادة عدد أعضائها في حال عارضت حزمة قرارات له، وكان التهديد فعّالاً، إذ ما لبثت المحكمة أن أصبحت مطواعة، أي يمكن إجراء انقلاب دستوري عبرها.

الطريق الآخر الذي قد يشبه طريق هتلر في الاستيلاء على السلطة الفعليّة بعد عام 1932، يحتاج إلى عنصر الشارع. وترامب يُتقن أسلوب تفجير النظام من داخله، واستخدام التأجيج الشعبي الجماهيري للسيطرة على مقدّرات الحزب الذي يمثّله. فاز ترامب أم لم يفز، فإنّ الحزب الجمهوري معقود اللواء له، ما استمرّ هو في العمل السياسي. ومصير ترامب يختلف جذريّاً عن مصير رؤساء فشلوا في الفوز بولاية ثانية: جيمي كارتر انتهى منبوذاً بعد خسارته في عام 1980، ولم يعد الحزب الديموقراطي يريد أن يعتمد عليه في أي انتخابات. وهكذا كان أيضاً مصير جورج بوش الأب بعد انتخابات 1992، والذي تحوّل إلى نكرة في حزبه بسبب خسارته. ترامب يترك الرئاسة وموقعه في الحزب الجمهوري أقوى ممّا كان عليه. ولو عاد في ولاية ثانية في عام 2024، أو لو نجح في السيطرة على الحكم لولاية ثانية بمساعدة المحكمة العليا، فإنّه سيعمل على إعادة تشكيل المؤسّسة الحاكمة التي لم ترتح له يوماً.

تعديل الدستور صعب، لكنه غير مستحيل. يحتاج فقط إلى سيطرة الرئيس على مجلسَيْ النواب والشيوخ، كي يضمن أكثريّة الثلثيْن في التعديل، ويمكن أن يكون التعديل جذريّاً، مثل تعطيل التعديل الثاني والعشرين الذي يمنع أي رئيس من تولّي منصب الرئاسة لأكثر من ولايتيْن. يكفي تعطيل هذه المادّة، كي يضمن رئيس معيَّن دوام الحكم لأكثر من ولايتيْن: لكنّ التعديل الدستوري يتطلّب مرحلة ثانية، وهي الحصول على تأييد أكثريّة ثلاثة أرباع المجالس الاشتراعيّة في الولايات (أي 38 ولاية من أصل خمسين). قد يكون ذلك صعباً، لكنّ شخص ترامب يستطيع أن يجترح معجزات انتخابيّة. والحزب الجمهوري بفعل رسم الدوائر الانتخابيّة ضخّم من تمثيله الاشتراعي بنسبة تفوق حجم تأييده بين السكّان (وفي فهم الصراع بين الجمهوريّين والديموقراطيّين تجوز المقارنة بين 8 آذار و14 آذار في لبنان، حيث الأولى جزعة ومتردّدة وخائفة دوماً من فتنة أهليّة، فيما الثانية بارعة في الإعلام والبروباغندا وفي الإقدام والمغامرة ودفع الأمور إلى الأمام ولو نحو فتنة أهليّة). ونسبة سيطرة الحزب الجمهوري على المجالس الاشتراعيّة المحليّة (المجالس الاشتراعيّة هي مجلس نواب محلي خاص بالولاية ومجلس شيوخ، فيما وحدها ولاية نبراسكا لا يوجد فيها إلا مجلس واحد) تبلغ مستوى قياسيّاً، إذ إنّ لديهم 59% من مجمل الولايات. ورقم الستين في المئة، ليس بعيداً كثيراً عن رقم الثلاثة أرباع - ومتى بلغت النسبة لحزب واحد ذلك الرقم، إضافة إلى السيطرة على مجلسَيْ النواب والشيوخ، فيمكن حينها تغيير النظام السياسي برمّته. ولو تسنّى ذلك لترامب، فإنّ حكم البلاد سيتغيّر جذريّاً وسيكون نصف البلاد في صفّه. ويستطيع عندها ترامب، أو غيره، إعلان نفسه حاكماً مدى الحياة للبلاد. وترامب، مثله مثل أسلافه في الحكم منذ الحرب العالميّة الثانية، استطاب الحكم من خلال مراسيم اشتراعيّة يخوّلها الدستور له، من دون تحديد صريح.

ليس هذا السيناريو خيالياً البتّة. تغيّرت أميركا كثيراً عمّا كانت عليه في عام 1983 عندما قدمتُ إليها. كنتُ أغتاظ مرّة كلّ أربع سنوات عندما كنت أسمع المعلّقين في كلّ المحطات التلفزيونيّة وهم يقولون بزهو: فقط في أميركا هناك انتقال سلس وسلمي للسلطة ومن دون نزول دبّابات إلى الشوارع. كنتُ أصرخ قائلاً: لا، ليس هذا البلد الوحيد في العالم حيث هناك انتقال سلمي للسلطة. ودائماً أذكّرهم بأن انتخابات 1970 في لبنان كانت بفارق صوت واحد فقط، وحدث قبول للنتيجة من قبل الخاسر، الياس سركيس (طبعاً، لا أقول لهم ما أعرفه عن تلك الانتخابات التي عاصرها والدي عن كثب: إنّ أنصار سليمان فرنجية المسلّحين كانوا يزنّرون منطقة المجلس وكانوا على استعداد لاستعمال القوّة إذا لم يُعلن فرنجيّة رئيساً - ومن المعروف أنّ صبري حمادة لم يكن يريد إعلان فوز فرنجيّة لأنه توقّع نتيجة مختلفة، لكن نائباً غيّرَ صوته في اللحظة الأخيرة بناءً على رشوة، وهناك تكهّنات عديدة حول شخصيّة هذا الرجل، وقد دخل في حينه مبلغ نصف مليون ليرة لتغيير وجهة الاقتراع لذلك النائب).

أميركا تذكّرني كثيراً هذه الأيّام بلبنان في عام 1975. والتسليح هنا ليس كما كان في ذلك العام في لبنان، محصوراً بجهة انعزاليّة واحدة. والإقبال على شراء السلاح زاد في سنة الـ«كورونا». وسيناريو الانقلاب الدستوري لم يعد خيالياً، كما سيناريو الحرب الأهلية.

* كاتب أميركي
(حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

«سجن» - كورتسكي/ كورشين، الاتحاد السوفياتي، 1968

> ترامب لم يكن يوماً عقائدياً وهو أقرب في أهوائه من الديموقراطيّين المحافظين أو الجمهوريّين الليبرتاريّين

الركائز الأربع لـ«المشروع الوطني الجبهوي»

سعد الله مزرعاني *

طوت الانتفاضة الشعبية أكثر من سنة كاملة على اندلاعها؛ أما الأزمة الشاملة التي حفَّزتها فتواصل تدحرجاً متسارعاً يجعل البلاد متجهة، ما لم تحدث معجزة، نحو هوة سحيقة. ذلك يعني، في ما يعنيه، أنّ الانتفاضة التي تراجعت إلى حدّ كبير، قد عجزت عن أن تؤثّر في مساري وقف التدهور، من جهة، ومحاسبة وإزاحة (ولو جزئياً) المسؤولين عن حصول الأزمة الشاملة، من جهة ثانية.

ثمّة إنجازات حصلت: في شمولية الانتفاضة، في تحرّرها من قيود معيقة، تقليدياً، من نوع الولاءات العمياء، والعصبيات الطائفية والمذهبية، وعدم المشاركة الواسعة في نشاط أو تحرّك ذي طابع مطلبي واقتصادي واجتماعي، كذلك في ما ولّدته من ضغط شعبي غير مسبوق على أطراف السلطة ورموزها... لكنّ الانتفاضة ظلّت أقرب إلى الفورة العفوية. تأكّد ذلك من خلال عدم قدرة المبادرين والمشاركين على بلورة موقف موحّد بشأن الأزمة وأسبابها، وبشأن الحلول والمعالجات والأولويات، وبشأن توحيد التحرّك من خلال خطة تعبئة مركزية مشتركة، ومن خلال قيادة تُدير وتنسق وتستمر وتستثمر وتتحمّل مسؤولية القرار والنتائج.

قوى التغيير التقليدية التي شاركت في الانتفاضة، لم تكن هي صاحبة المبادرة في الدعوة إلى التحرّكات والاحتجاجات. استجابت للمشاركة، لكن بشكل مرتبك ومتنافر في ما بينها (أحياناً ضمن التنظيم الواحد). بذلك، لم تستطع هذه القوى، كما هو الأمر بالنسبة إلى قوى الانتفاضة الأخرى، أن تتشكّل في صيغة موحّدة، أي في نطاق مركز وطني معارض موحّد، فاعل ومؤثّر في المشهد الصاخب والمأساوي الذي ما زالت تعاني منه البلاد منذ أواخر العام الماضي.

أمور عديدة في السياسة والتحالفات والأسباب والمسؤوليات والأولويات والتنظيم، دار ويدور نقاش وتباين بشأنها، وبشأن ارتباط مجمل الأزمة بالنظام السياسي القائم. كذلك بشأن ما برز، بشكل مبكّر، من تدخّل خارجي كبير في محاولة لتوجيه الاحتجاجات واستغلالها. في هذا السياق، كان الدور الأميركي هو الأهم والأوقح والأكثر مثابرة. شجَّع ذلك، كما أسلفنا، غياب البرنامج والأولويات الموحّدين، والإطار التنظيمي المشترك، والأولويات المطلبية الواضحة. ومع تمادي الأزمة وتحوّلها إلى أزمة نظام (وحتى أزمة كيان)، برزت بشكل خطير أزمة البديل، ما مكّن قوى السلطة من استعادة زمام المبادرة، من جهة، والإفلات من المحاسبة من جهة ثانية!

نكتفي، هنا، بتكثيف مكمّل لما كنّا عرضناه في مقالين سابقين في «الأخبار» في 22 شباط / فبراير و3 آذار / مارس الماضيين، تحت عنوان «الأزمة مستمرّة، ماذا عن المشروع الوطني». الواقع أنّه في سياق تجاذب متواصل بشأن الموقف من «المطالب» و«الحقوق» التي تردّدت من قبل أكثر المحتجّين، غاب إلى حدّ مقلق، الموقف الشامل من الأزمة وأسبابها ومسبّبيها وصولاً إلى مستغلّيها الداخليين والخارجيين. ما هي المسائل الرئيسة في هذا الصدد؟

المسألة الأولى الجوهرية هي الآتية: نظام البورجوازية الكبرى التابعة، الاقتصادي السياسي التحاصصي الطائفي المذهبي الراهن، هو المانع لقيام دولة موحّدة، دولة قانون ومؤسّسات ومواطنة متساوية. هو المانع أيضاً لبناء وحدة وطنية صلبة تحمي الاستقرار والسيادة والاستقلال، وتحول دون التدخّلات الخارجية الفظّة في الشؤون الداخلية اللبنانية. بذلك، يكون مدخل كلّ إصلاح إزاحة منظومة المحاصصة لا محاولة التعايش معها، لأنها قد أثبتت أنها المولِّدة الأساسية للأزمة الشاملة الراهنة، عبر الفئوية والنهب والفساد، والتي تهدّد اللبنانيين بالجوع والفقر، ولبنان بالضياع على مذبح المصالح والمخطّطات الخارجية الموجّهة بالدرجة الأولى، لخدمة المشروع الصهيوني والهيمنة الغربية عموماً والأميركية خصوصاً. مدخل ذلك مسار إصلاحي يبدأ بإقرار قانون انتخابات، وفق نص الدستور المجمَّدة بنوده الإصلاحية منذ عام 1992، قانون متحرّر من القيد الطائفي كما تنصّ المواد 22 و24 و95 من الدستور. يقترن ذلك باستحداث مجلس شيوخ يتولى التعاطي مع الشأن الطائفي بهواجسه المختلفة، فيما تكون الإدارة السياسية والعامة للبلاد ولمؤسساتها قد تحررت كلياً من هذا القيد المدمِّر الذي في ظله تعزّزت الانقسامات والتبعية، ومعهما النهب والفساد والهدر وعدم المحاسبة وانعدام الرقابة... على النحو المأساوي الذي تعيش نتائجه البلاد منذ أكثر من سنة.

المسألة الثانية، هي في التوجّه لبناء اقتصاد منتج متحرر يشكل ركناً أساسياً في توفير مقوِّمات الاستقرار الاجتماعي وفي تدعيم السيادة الوطنية. وهو اقتصاد مغاير للنموذج الراهن الذي كشف البلاد أمام العجز والمديونية والنهب والفساد والمضاربات وسيادة الريوع.

المسألة الثالثة، هي في الحذر حيال محاولات استخدام الاحتجاجات الشعبية لتحقيق أهداف مشبوهة تخدم، عبر «الضغوط القصوى»، ومن دون مواربة، مصالح العدو الصهيوني.

المسألة الرابعة، هي في اعتماد صيغ مبتكرة، مرنة وتأسيسية ذات طبيعة تشاركية وديموقراطية توفّر حضوراً فاعلاً للمستقلّين: أفراداً ومجموعات ومواقع ومنابر مدنية ومهنية ونقابية... مع الحرص على دور أساسي للجيل الشاب الذي بدأ يطلق إشارات واعدة ومهمّة في الانتخابات الطلّابية الجديدة، وللنساء اللواتي كان دورهن مميّزاً جداً في الانتفاضة، وذلك بما يشمل المدن والأرياف على حدّ سواء.

تشكّل المسائل الأربع المذكورة القوائم الأساسية التي يمكن أن يقوم عليها المشروع الوطني بعد تخطي الفئويات والذاتيات التي من المخجل أن تستمر مؤثّرة بعدما بلغت الأزمة ما بلغته من المخاطر والتهديدات المصيرية. في ذاكرتنا القريبة، أنّه ليس من النادر أن تؤدي خلافات بسيطة إلى فراق «استراتيجي!». وليس نادراً، في المقابل، أن يؤدّي تقاطع تكتيكي، قد يكون دافعه المناورة أو حتى الخداع، إلى بناء حسابات تعاون استراتيجية عليه!

لا يمكن للمشروع الوطني الجبهوي أن يكون وأن ينهض من دون القوائم المذكورة، ولا يمكن الاستمرار في تغييب مركز وطني مرجعي وفاعل، إذا أردنا الإسهام في ممارسة دور إنقاذي لشعبنا ووطننا.

* كاتب وسياسي لبناني

الحدث

لا يكنّ ساسة العراق ودّاً لنظرائهم في «إقليم كردستان». ثقة كره متبادل مغطّى باحترام مزيّف. يترقّب كلّ من الطرفين الفرص لضرب خصمه وإيلامه. في إحصاء سريع، يتبيّن أن عدد المواجهات البينية، السياسية والأمنية والعسكرية والاقتصادية، في السنوات التي أعقبت سقوط مدينة الموصل بيد «تنظيم داعش» في حزيران/ يونيو 2014، فاق الـ100. أخيراً لم يفوّت ساسة أربيل والسليمانية فرصة استثمار حراك تشرين/ أكتوبر 2019 للضغط على ساسة بغداد، والظفر بالمزيد من المكتسبات، عدا دخولهم طرفاً في «لعبة الموت». فهؤلاء، لم ينسوا صفعة تشرين الأول/ أكتوبر 2017، يوم أعادت بغداد محافظة كركوك والمناطق المتنازع عليها والمنافذ الحدودية إلى قبضتها بعملية عسكرية واسعة، ردّاً على خطوة مسعود بارزاني الانفصالية. أمّا في بغداد، فقد كان أشبه بحلم أن يخرج الشارع الكردي في تظاهرات ضدّ الثنائي الحاكم في الشمال. لكن اليوم، ومنذ الأول من شهر كانون الأول/ ديسمبر الجاري، باتت الصورة مغايرة: ثقة غضب على حكم العوائل (بارزاني وطالباني)، الذي اتخذ المحاصصة في موارد «الإقليم» نهجاً. حكومة مسرور بارزاني عاجزة عن تأمين رواتب موظّفيها للشهر السابع على التوالي. والسبب كما تقول رفض بغداد منحها مستحقاتها من الموازنة الاتحادية. في المقابل، تقول بغداد: أوفوا بالتزاماتكم نوفِ بالتزاماتنا. على قاعدة دفع أربيل 50 بالمائة من واردات المنافذ الحدودية و259 ألف برميل نفط يومياً عبر «سومو» (الشركة الوطنية للنفط). لكن أربيل لديها ما يكفيها من المشاكل مع الشركات النفطية من جهة، واتفاقها مع أنقرة والعقد المبرم معها لمدّة 50 عاماً من جهة أخرى. فحكومة «الإقليم» رهنت نفطه منذ عام 2013 لتركيا، وحصّلت مسبقاً «فواتير» حتى عام 2024. إزاء ما يجري، يمكن تسجيل جملة ملاحظات كالآتي:

1- الصمت المتعمّد أمام ما يجري في «كردستان»، وكأنّ الأقلام تجفّ عند أسواره. كما عبّر أحد الإعلاميين العراقيين. 2- توجيه ساسة العراق – كعادتهم - رسائل كثيرة إلى خصومهم في «الشمال»، في ردّ على تدخل الساسة «الأكراد» في حراك تشرين 2019.

3- إبقاء الباب مفتوحاً للتسويات السياسية في اللحظات الأخيرة، في خطوة تمهيدية لأيّ تحالف محتمل في الانتخابات التشريعية المبكرة (حزيران/ يونيو 2021).

4- تخوّف جدّي متبادل من أن تمتدّ هذه التحرّكات لتشمل رقعاً أكبر على الخارطة العراقية

نور أيوب

تحشيد شعبي متواصل في «كردستان»
أربيل تستعجل اتفاقاً مع بغداد

السليمانية ـ **أنيس جرجيس**

تشهد محافظة ومدينة السليمانية استنفاراً أمنياً وانتشاراً للقوات الأمنية المحلية («الأسايش»)، والتي منعت الدخول إلى المدينة والخروج منها، على إثر دعوات «جمعة التضامن والاستمرار»، والتي أطلقها ناشطون على منصّات التواصل الاجتماعي تنديداً بمقتل عدد من المتظاهرين خلال الأيام القليلة الماضية. اللافت في تلك الدعوات أنها صدرت عن ساسة ونواب سابقين وأساتذة جامعيين وكتّاب صحافيين، ولم تقتصر على الناشطين المدنيين فقط. كما يلفت أن جميع هؤلاء تعهّدوا بعدم الترشّح في أيّ انتخابات مقبلة، أو تسنّم منصب مستقبلاً.

وتجدّدت الدعوات إلى الاحتجاج على إثر اعتقال 400 شخص خلال الساعات الـ24 الأخيرة في مركز المدينة ونواحيها، كما تقول سروة عبد الواحد، النائبة سابقاً في البرلمان العراقي وشقيقة المعارض الكردي الأبرز شاسوار عبد الواحد، زعيم «حراك الجيل الجديد». ومن ضمن المعتقلين نائبان سابقان في «برلمان كردستان»، متّهمان بالتحريض على التظاهر من دون موافقات أمنية، باتت شرطاً لازماً لدى سلطات السليمانية، المذعورة من إمكانية تكرّر الصدامات بعد أسبوع دام سقط فيه 9 ضحايا وأصيب العشرات، علاوة على عمليات حرق المقارّ الحزبية التي أمسى على إثرها «حزب العمال الكردستاني» (PKK) موضع اتهام من قِبَل «الحزب الديمقراطي الكردستاني» و«الجماعة الإسلامية». وبقدر ارتباط الاحتجاجات الأخيرة بعفوية الغضب الشعبي، فإن لبعض الأحزاب والقوى السياسية المعارضة دوراً نسبياً في تحريكها وتأجيجها، كلّ لمآربه الخاصة، وهذا ما بدا جلياً على لسان «أمير الجماعة الإسلامية»، علي بابير، خلال حديثه عن حرق ونهب المقارّ الحزبية والمكاتب الحكومية على يد «ملثمين مجهولين يدفع بهم حزب سياسي».

في غضون ذلك، يواصل «الثنائي الحاكم»، «الحزب الديمقراطي الكردستاني» و«الاتحاد الوطني الكردستاني»، إضافة إلى «حركة التغيير» (كوران)، استعجال نتائج المفاوضات مع بغداد، على أمل تهدئة الشارع المحتجّ عبر إنهاء تأخير صرف الرواتب وإيقاف الاستقطاعات منها. إذ عقد وفد حكومة «الإقليم» برئاسة نائب رئيس الحكومة قوباد طالباني، فور وصوله إلى بغداد، اجتماعاً مع وزيري المالية والنفط الاتحاديَين، أكد خلاله «موقف الحكومة الثابت بالالتزام بقانون تمويل العجز المالي (الاقتراض) مقابل توفير المستحقات المالية للإقليم». كذلك، عقد الوفد اجتماعات منفصلة مع زعيم «ائتلاف دولة القانون» نوري المالكي، وزعيم «تحالف الفتح» هادي العامري، وزعيم «تيار الحكمة» عمار الحكيم، وزعيم «ائتلاف النصر» حيدر العبادي.

> **تجدّدت الدعوات إلى الاحتجاج على إثر اعتقال 400 شخص خلال الساعات الـ24 الأخيرة**

وتبدو المفاوضات بين بغداد وأربيل على طريق التقدّم، مدفوعة بمرونة طرأت على موقف حكومة «الإقليم» بفعل الاحتجاجات، إضافة إلى دخول واشنطن على الخطّ في محاولة منها لحلّ الخلاف الذي قد يؤثر سلبياً على حليفتَيها. وفي هذا الإطار، أكد مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأدنى، ديفيد شنكر، التزام بلاده بتوطيد علاقاتها مع العراق و«الإقليم» على حدّ سواء، وفضّ الخلافات بينهما. كما أبدت بريطانيا، بعد أيّام قليلة من طلب أربيل «رقابة أميركية» على المفاوضات، عن استعدادها لتولّي هذه المهمة، شريطة موافقة الطرفين. ودعت كلاً من الطرفين إلى تفهّم ظروف الآخر، قائلة إنه «على حكومة بغداد أن تعي أن حكومة إقليم كردستان بحاجة إلى الأموال، وكذلك على إقليم كردستان أن يدرك أن هناك أموالاً أقلّ بسبب انخفاض أسعار النفط».

وفي وقتٍ متأخر من مساء أمس، أعلن عضو «اللجنة المالية النيابية» في البرلمان العراقي، فيصل العيساوي، عقد اجتماع «جيّد للغاية» مع وفد «الإقليم»، معلناً إرسال مبلغ الـ320 مليار دينار إلى أربيل في غضون اليومين المقبلين. وقال العيساوي إن «الاجتماع كان إيجابياً جدّاً وصريحاً، وكلّ الأطراف تسعى لمعالجة الخلافات بشرط التزام الجميع».

تبدو المفاوضات بين بغداد وأربيل على طريق التقدّم (أ ف ب)

تعمّق الانقسامات الكردية
أحزاب «الإقليم» تتقاذف الاتهامات

يتزايد الغضب الشعبي في «إقليم كردستان» نتيجة فشل حكومتَي المركز و«الإقليم» في حلّ الأزمة المالية المستفحلة، ومكافحة الفساد المستشري هناك. التظاهرات الحاشدة في السليمانية لموظفي القطاع العام ومحدودي الدخل رفعت، هذه المرّة، شعارات تطالب بحلّ حكومة أربيل، محمّلة «الثنائي» الحاكم، «الحزب الديمقراطي الكردستاني» و«الاتحاد الوطني الكردستاني» إضافةً إلى «حركة التغيير»، مسؤولية تدهور الأوضاع الاقتصادية، وهدر المال العام، وحرمان المواطن/ الموظّف من أدنى حقوقه.

أحد المتظاهرين في حراك السليمانية، المستمرّ منذ الأول من شهر كانون الأول/ ديسمبر الجاري، يعتبر، في حديثه إلى «الأخبار»، أن «حكومة أربيل تعزف على الوتر القومي والقضية الكردية؛ فهي تتحدّث عن صيانة حقوق الأكراد وعدم التنازل عن حقهم في موازنة العراق المالية، والحصة من الاقتراض، لكنها - في الوقت عينه - تهيمن على مقاليد القرار والأموال، سواءً تلك التي ترسلها بغداد أو العائدات المالية مقابل بيع النفط وواردات المعابر الحدودية والمطارات، أسفاً لـ«ممارسة الحكومة سياسات التقشّف والاستقطاعات المستمرّة، من دون أي مبرّر أو مسوّغ».

> **تتّهم أحزاب السلطة في «الإقليم»، بعض الأحزاب المعارضة، بتحريك الشارع**

على أن ما يجري حالياً لا يبدو بعيداً من «حركات التسخين السياسي»، قبيل إجراء الانتخابات التشريعية المبكرة (حزيران/ يونيو 2021). وفي هذا الإطار، تتّهم أحزاب السلطة في «الإقليم»، بعض الأحزاب المعارضة، بتحريك الشارع، باستغلال الدوافع الموجودة أصلاً لاندلاع الاحتجاجات. لكن المكتب السياسي لـ«حراك الجيل الجديد» (بقيادة شاسوار عبد الواحد) المعارض يردّ على تلك الاتهامات بأن «الحراك أصاب السلطة بالذعر، حتى من التظاهرات السلمية»، فيما يؤكد رئيس كتلة «الحراك»، في البرلمان العراقي كاظم فاروق، في حديثه إلى «الأخبار»، أن العمل جارٍ على الإطاحة بـ«حكم العائلات»، مشيراً إلى أن «السلطة لديها مافيات، وتسعى جاهدةً لإسكات صوتنا من أجل التستّر على فضائح الفساد والسرقات اليومية».

في المقابل، وفي خطوة دفاعية، تُروّج الماكينات الإعلامية المحسوبة على «الثنائي الحاكم» لكون الحكومة المركزية هي المقصّرة. وتلقي أربيل والسليمانية، على حدّ سواء، باللوم على بغداد للخروج من دائرة الاتهام والمساءلة. ولم يعد هذا الخطاب مقتصراً على الإعلام، بل أصبح «درعاً» تقف خلفه الطبقة الحاكمة، وهو ما عبّر عنه صراحة النائب عن «الحزب الديمقراطي»، شيرزاد حسن، بالقول إن «التظاهرات يجب أن تكون ضد الحكومة الاتحادية، فهي الجهة المقصّرة»، معتبراً في حديثه إلى «الأخبار» أن «رفع شعارات سياسية في التظاهرات، مثل إسقاط حكومة الإقليم وغيرها، هو أمرٌ مدفوعٌ من جهات حزبية وسياسية تريد الصعود على معاناة المواطنين... فهؤلاء يتلاعبون بمشاعر الناس». ويضيف أن «هذه الأحزاب لها نوّاب في برلمان الإقليم، ومطّلعة على وضعه المالي، وتعرف حجم الأزمة، نتيجة انخفاض أسعار النفط وقلة العائدات المالية، ولكنها تحاول إحداث أزمة ورفع شعارات انتخابية».

بدوره، يلقي النائب عن «الاتحاد الوطني»، حسن ألي، باللوم على الحكومة الاتحادية أيضاً؛ إذ يقول إن أربيل، وبعد جمع العائدات المالية المتوفرة لديها، إضافةً إلى قروض داخلية حصلت عليها من الشركات والبنوك في الشمال، ستؤمّن الرواتب بنسبة استقطاع تصل إلى 21 بالمائة، بيد أن الحكومة الاتحادية برئاسة مصطفى الكاظمي أرسلت لـ«الإقليم» تطمينات وتعهدات بإرسال المبالغ المخصّصة والبالغة 320 مليار دينار، لكنها في طور البحث عن مسوّغ قانوني لذلك، لتجنّب الوقوع في حرج مع البرلمان والكتل السياسية التي صوّتت على قانون تمويل العجز المالي.

وفيما يحتدم الصراع السياسي شمالاً قبيل إجراء الانتخابات المبكرة، يرى مراقبون أن المواطن هناك يعيش حالة مأساوية بين مطرقة السلطة وسندان المعارضة، وسط صمت الحكومة الاتحادية عن الأحداث الجارية، معتبرين أن بغداد مستفيدة من هذا التناحر، على اعتبار أنه قد يدفع أربيل إلى الخضوع لمطالبها بالإيذان بتسليم واردات النفط والمنافذ الحدودية، والتي فشل رؤساء الحكومات السابقة في تحصيلها.

ترفض عائلة بارزاني، ومنذ سنوات، تسليم الحكومة الاتحادية واردات النفط (أ ف ب)

جذور الأزمة:
طبقات الفساد المتراكمة

ليست الخلافات الداخلية في «إقليم كردستان» جديدة، بل هي متجذّرة منذ تسعينيات القرن الماضي، حيث الحرب الأهلية (1994 – 1998) التي نشبت بين حلفاء اليوم؛ أي «الاتحاد الوطني الكردستاني» (أبناء الراحل جلال طالباني ورفاقه) و«الحزب الديمقراطي الكردستاني» (بزعامة مسعود بارزاني، وعشيرته) في عدد من المحافظات الشمالية («الإقليم» اليوم)، المعروفة – آنذاك - بـ«محافظات الحكم الذاتي». وعلى رغم أن العلاقات بين الشريكين عادت إلى طبيعتها بعد اتفاق رعته الولايات المتحدة، أفضى إلى وقف إطلاق النار وتقاسم «كعكة» الحكم في «الإقليم» (احتفظ الطالبانيون بالسليمانية ومحيطها، فيما أحكم البارزانيون سيطرتهم على العاصمة أربيل ومحيطها)، إلا أن تصدعات «البيت الكردي»، والتي برزت بُعيد سقوط نظام صدام حسين (نيسان/ أبريل 2003) واحتلال القوات الأميركية للبلاد، ساهمت في انشقاق/ ولادة تنظيمات معارضة للثنائية الحاكمة، في مقدمتها «حركة التغيير» (كوران).

ولئن عوّل معارضو الثنائي الحاكم على حراك «كوران»، إلا أنهم أصيبوا بخيبة أمل بعد إبرام الحركة اتفاقيّات عدة مع أصحاب السلطة، في مسعىً واضح للظفر بمكتسبات سياسية واقتصادية. هكذا، بدلت «كوران» سياستها، مبتعدةً عنْ دعمها السابق لتحرّكات الشارع. مع ذلك، لم تتوقّف حركة الانشقاقات، بل برزت في الآونة الأخيرة تنظيمات ولدت من رحم الأحزاب الكردية التقليدية، رافعة شعار المعارضة. آخرها كانت «حركة الجيل الجديد» برئاسة شاسوار عبد الواحد، والتي تميّزت ببنية شبابية مرنة. وضعت الحركة تصوّراً لآليات ترميم «البيت الكردي»، وإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية، وتطبيق بنود الدستور العراقي، وتجنيب المواطن الكردي مآلات الخلافات بين حكومتي المركز و«الإقليم»، متصدّيةً بمهمة تحريك الشارع، ودعم الاحتجاجات.

لم يكن مشهد «الاستقرار» الذي حرص الثنائي الحاكم وإعلامه على تصديره طوال السنوات الماضية إلا رماداً يخفي نيراناً أوقدت ببطء، على يد المعارضين والمنشقين. وما أحداث الأيام القليلة الماضية إلا ترجمان لغضب مكبوت، فجّره عجز حكّام «الإقليم» عن توفير رواتب موظفي القطاع العام، فضلاً عن تردّي الأوضاع الاقتصادية بشكلٍ مهول. يعيش «الإقليم» حالةً من الفوضى بسبب تظاهرات غاضبة شهدتها مدنٌ وبلدات محافظتي السليمانية وحلبجة، وهي حالة لا يمكن أن تصل إلى محافظة أربيل، بسبب بطش السلطة الحاكمة هناك، واستعدادها لقمع الأصوات المعارضة مباشرة. وتعتقد عضو مجلس النواب، آلا طالباني، أن «استمرار الأزمة مؤشر إلى خطر قادم يهدد كل أرجاء الإقليم»، داعيةً في حديثها إلى «الأخبار» إلى «إيقاف العنف المرافق للاحتجاجات المطلبية الحقة، حتى يتخذ أصحاب القرار في محافظة السليمانية موقفاً آخر».

وترتبط التطورات الأخيرة، في جزء منها، بالأزمة المالية التي ضربت البلاد عقب تفشي جائحة كورونا مطلع العام الجاري، لكن جذورها ترجع إلى حقبة حيدر العبادي (2014 – 2018)، الذي قرّر خفض حصة «الإقليم» من إجمالي الموازنة الاتحادية إلى 12,5 بالمائة، بعدما كانت في عهد سلفه نوري المالكي تتجاوز الـ17 بالمائة. وترفض أربيل تسليم بغداد العائدات المالية لـ250 ألف برميل من النفط يومياً، وتطالب - في الوقت عينه – بتسديد مستحقاتها من الموازنات، الأمر الذي أحدث تراكماً عبر السنوات الماضية، ولّد غضباً في الشارع الكردي، الذي طالب أخيراً بغداد بفرض سلطتها على «الإقليم» عموماً، والسليمانية خصوصاً. وعلى الرغم من إعادة حكومة عادل عبد المهدي (2018 – 2019) دعم «الإقليم» بمبلغ قدره 450 مليار دينار عراقي شهرياً (378 مليون دولار أميركي/ دفع لثلاث مرات)، غير أن رئيس الوزراء الحالي، مصطفى الكاظمي، عاد وخفّض المبلغ إلى 320 مليار دينار عراقي (270 مليون دولار أميركي/ دفع أيضاً لثلاث مرّات)، ما جعل الموظفين الأكراد من دون أيّ راتب لـ7 أشهر متواصلة.

وفي حديثها إلى «الأخبار»، تؤكد مصادر كردية مطلعة أن «عائلة بارزاني، ومنذ سنوات، ترفض تسليم الحكومة الاتحادية واردات النفط، في وقتٍ تفرض فيه إدخاراً إجبارياً على موظفي الإقليم، ويتمثل ذلك باستقطاع نسب من رواتبهم، بحجة عدم تسلم الإقليم مستحقاته من الموازنة العامة للبلاد»، مشيرةً إلى أنه «أخيراً، وصلت نسبة الاستقطاع إلى 21 بالمائة، وهذا مؤشر جدي إلى أنه لا أحد يعلم أين تذهب الواردات النفطية المصدرة من الإقليم».

وكأيّ مواطن عراقي كفل الدستور حقه، يطالب الموظف الكردي براتبه على غرار الموظفين في بغداد والمحافظات الأخرى، لكن الأمر وصل في الآونة الأخيرة إلى حدِ مطالبة المتظاهرين في السليمانية وحلبجة، بحسب المصادر، بالانشقاق عن «الإقليم» ورسم خارطتين جديدتين لهما، كالآتي:

1- تكون محافظتا السليمانية وحلبجة كـ«إقليم» منفصل يتمتع بالصلاحيات المالية والإدارية، ويخوض الحوار بشكل مستقلٍ مع بغداد، وهو مقترح قد يكون بعيداً عن التطبيق، لكنه مؤشر إلى حالة الانقسام في «البيت الكردي».

2- ثمة مقترحات طرحتها بعض الشخصيات الكردية تستند إلى ربط موظفي المحافظتين بالحكومة الاتحادية مباشرة، لتجاوز العراقيل التي أنتجتها الخلافات بين بغداد وأربيل، والفساد في سلطة «الإقليم».

سوريا

تجدّد معاناة الحسكة: مليون مدني بلا مياه

عاودت تركيا ارتكاب «جريمة الحرب» الموصوفة، بقطع المياه عن نحو مليون مدني في مدينة الحسكة وريفها، بعد خروج محطّة علوك في ريف رأس العين عن الخدمة مجدّداً نتيجة التعدّيات على خطّ الكهرباء المُغذّي للمحطّة

الحسكة ـ ايهم مرعي

لم يعد أهالي الحسكة يَعدّون المرّات التي قطع فيها الأتراك المياه عن مدينتهم وأريافها، إذ إن الأمر بات طقساً شبه شهري اعتادوه، بعد أن قُطعت المياه للمرّة الخامسة عشرة على التوالي، منذ احتلال الأتراك المنطقة في خريف العام الفائت. وفي الـ25 من الشهر الماضي، انقطعت المياه عن مدينة الحسكة، بعد خروج

> يضغط الجانب الروسي على الأتراك و«الإدارة الذاتية» لإنهاء المعاناة

المصدر المائي الوحيد في محطّة مياه علوك المُغذّية للمدينة وأريافها عن الخدمة، نتيجة انخفاض "الجهد الكهربائي" المُغذّي لمضخّات المحطّة وآبارها.

وأدّى انخفاض استهلاك السكّان للمياه في فصل الشتاء، فضلاً عن تخزينهم كمّيات سابقة، إلى تأخّر ظهور معاناتهم هذه المرّة، قبل أن يبدأ الكثيرون منهم تداول هاشتاغ "الحسكة عطشى"، على مختلف مواقع التواصل الاجتماعي، للفت الأنظار إلى مأساتهم. وتتحدّث مصادر من داخل المحطّة، إلى "الأخبار"، عن الواقع المستجدّ، بالإشارة إلى أن "الجيش التركي والفصائل المسلّحة التابعة له قاموا بسحب خطوط لمقرّاتهم، وأخرى لسقاية أراض تابعة لبعض قادة الجماعات المسلّحة، من خطّ مياه علوك الذي يتغذّى من محطّة الدرباسية، ما أدّى إلى خروجها عن الخدمة بفعل الضغط الفائض". وأضافت المصادر أنه "على الرغم من الصيانات الواسعة التي تمّت في المحطة خلال الفترة الماضية، إلا أن الاستجرار الزائد للكهرباء أدّى إلى ارتفاع الحمولات على الخطّ، وضعف الجهد الكهربائي، وخروج الآبار والمضخّات بالتدريج عن الخدمة". وأشارت إلى أن "ما يسمّى هيئة الطاقة في الإدارة الذاتية قامت بتخفيض مُحوّلات الشدّة (منظّم الجهد الكهربائي) من 300 ميغا إلى 150، من دون التمكّن من ضبط التعدّيات"، لافتة إلى "قيام الإدارة الذاتية بقطع الكهرباء عن مدينتَي رأس العين وتل أبيض المحتلّتين، ردّاً على انقطاع المياه عن مدينة الحسكة وأريافها"، في سيناريو تكرّر سابقاً لمرّات عديدة.

من جهته، يؤكد مدير المياه في الحسكة، محمود العكلة، في تصريح إلى "الأخبار"، أن "المحطّة متوقّفة لليوم الـ20 على التوالي، الأمر الذي أدّى الى انقطاع المياه عن نحو مليون مدني في مدينة الحسكة وأريافها، في جريمة حرب موصوفة يرتكبها الاحتلال التركي بحق المدنيين". ويضيف العكلة أن "التنسيق مع الجانب الروسي مستمرٌ بهدف إعادة المحطّة إلى الخدمة، وضمان عودة تدفّق المياه منها باتجاه الحسكة وأريافها". كذلك، يؤكد مدير الكهرباء في الحسكة، أنور العكلة، لـ"الأخبار"، أن "ورشات الشركة جاهزة للوصول إلى المحطّة، وإعادة تشغيلها من جديد، فور تهيئة الظروف المناسبة لذلك"، مبيّناً أن "المحطّة خرجت عن الخدمة بسبب الحمولة المرتفعة والاستجرار الكبير على الخطّ المغذّي لها، علماً بأنها تحتاج من 2 إلى 4 ميغا للعمل، بينما ارتفعت الحمولات على الخطّ الى أكثر من 8 ميغا". ويوضح أن "عودة المحطة إلى العمل تحتاج إلى إزالة جميع التعدّيات على الخط المغذّي لها، مع تركيب محوّلات لتنظيم الجهد الكهربائي، تضمن توفير جهد يغذّي الآبار والمضخّات بالصورة المناسبة".

بدوره، يشير مصدر مطّلع على مسار التفاوض بين الإدارة الذاتية وتركيا، والذي ترعاه روسيا، في حديث إلى "الأخبار"، إلى أن "الجانب الروسي بدا بتقريب وجهات النظر، والضغط على الأتراك والإدارة الذاتية لإنهاء معاناة السكّان وتوفير المياه والكهرباء لهم"، متوقعاً أن "تُثمر الجهود قريباً إعادة التغذية الكهربائية إلى المحطّة، وإعادتها إلى الخدمة من جديد". ويتابع المصدر أن "الخطوة سيليها تسيير دوريات روسية - تركية مشتركة، ترافقها ورشات الكهرباء الحكومية، لإزالة التعدّيات على الخطّ، وضمان رفع الجهد الكهربائي، بما يعزّز استمرارية العمل في المحطّة".

للمرة الخامسة عشرة على التوالي، تتسبّب تركيا في قطع المياه عن الحسكة وأريافها (أ ف ب)

فلسطين

شهر على وفاة عريقات: عباس يهندس «الخلافة»

رام الله ـ مي رضا

مع مرور شهر على وفاة أمين سرّ "اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير"، صائب عريقات، يكون رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، قد وجد وقتاً كافياً كي يُجري خطوات أحادية لإعادة ترتيب «التنفيذية»، آخرها الطلب من عضو اللجنة، حنان عشراوي، تقديم استقالتها، على خلاف ما

> يريد عباس إرضاء فرج والشيخ كي لا ينشب خلاف «فتحاوي» خطير

قيل عن تقديمها بنفسها الاستقالة لأسباب تَعدّدت رواياتها. يريد عباس بذلك إفساح المجال لاختيار شخصيتين جديدتين من قيادات حركة «فتح» والمقرّبين منه لعضوية اللجنة وأمانة السرّ فيها خَلفاً لعريقات. وبينما كانت عشراوي تعدّ نفسها مرشّحاً قوياً لخلافة عريقات في أمانة السرّ، وجد «أبو مازن» أن الأفضل له إرضاء المقرّبين منه واستبعاد عشراوي التي لا تصلح في نظره لتولّي ذلك المنصب، لأن أمين السر هو الخليفة الفعلي له، ويجب أن يكون «فتحاوياً خالصاً»، وليست لديه رغبات حالية في خلافة رئيس السلطة، أو أن يكون مدعوماً من الخارج لهذا الغرض. وفي مقدّمة للترتيبات الجديدة للجنة التي تتكوّن من 18 عضواً، جاء الطلب من عشراوي بصورة غير مباشرة. وحينما رفضت الرسائل الضمنية، قرّرت أن تقابل عباس وتتقدّم بطلب الاستقالة لتحفظ ماء وجهها. ولكيلا تظهر الأمور على أنها نتيجة الضغط عليها، ردّ عباس على طلبها بأنه «يؤجّل حتى عقد المجلس المركزي»، لكنّ وسائل إعلام «فتحاوية» مقرّبة من رئيس المخابرات الحالي ماجد فرج، ومؤسّس الجهاز وقائده السابق توفيق الطيراوي، سرّبت خبر الاستقالة، مع عزو قرارها إلى مرضها ووضعها الصحي، الأمر الذي اضطرها إلى إعلان الاستقالة رسمياً وقبول الرئيس.

تروي مصادر «فتحاوية» أن من أسباب الضغط الأخير على عشراوي أنها فقدت المساند الأول والأقوى لها في المنظمة وهو عريقات، الذي كان يشدّد على استمرارها بوصفها من الشخصيات التفاوضية التاريخية، وأنها كانت مساعدته بعدما اختيرت عام 1991 لتمثيل «منظمة التحرير» في محادثات «السلام» في مدريد خلال أكتوبر/تشرين الأول آنذاك، فضلاً عن أنها كانت المتحدّثة باسم الوفد الفلسطيني. وفي المجمل، استقالة عشراوي (74 عاماً)، التي لا تنتمي إلى أيّ من الفصائل، حملت في طيّاتها، وعبر التصريحات، إشارة إلى أن المنظّمة ولجنتها التنفيذية بحاجة إلى إصلاحات وتداول ديمقراطي عبر الانتخابات، خاصة أنها «تعاني من تهميش واستفراد بصنع القرار»، كما تقول مصادر فصائلية.

ومع أن استقالة حنان عشراوي تفتح المجال أمام إضافة شخصيات من خارج «فتح» إلى «التنفيذية» (راجع: صراع «فتحاوي» متجدّد: مَن يَخلُف عريقات؟)، في 25 تشرين الثاني)، فإن أبرز شخصيتين يرغب عباس في إرضائهما حالياً وإضافتهما إلى اللجنة هما رئيس «الهيئة العامة للشؤون المدنية» حسين الشيخ، وفرج، بعدما بات الاثنان هما الشخصيتين الأقوى في السلطة، ويتمتعان بحضور أمني في الضفة المحتلة، كما يمثلان عمودين أساسيين في دعم عباس طوال السنوات الأخيرة. وتُعلّل مصادر في «فتح» هذا «الإرضاء» بأن عباس لا يرغب في انشقاق الجانب الأمني في الضفة حالياً، ولذلك لا يريد تقديم أيّ منهما، فرج والشيخ، على الآخر، لأن ذلك سيسبّب خلافات قد تترجَم على الأرض وستؤثر في الحركة.

وعلى رغم التحرّك الأخير لعباس لإضافة شخصيات جديدة إلى «التنفيذية»، لا يزال الجدل قائماً، في جانب آخر، حول الشخصية التي يمكن أن يختارها لأمانة السرّ في اللجنة، وذلك لعدد من الاعتبارات السياسية والداخلية المتعلّقة بـ«فتح»، وأيضاً بالمتغيّرات التي تمرّ بها المنطقة في ظلّ حملة التطبيع المستمرّة، وما يُنتظر من الرئيس الأميركي الجديد جو بايدن بعد تنصيبه الشهر المقبل.

فقدت عشراوي المساند الأول والأقوى لها في المنظمة بعد وفاة عريقات (أ ف ب)

تحليل إخباري

«اتفاق الرياض» تابع: كلمة سرّ أميركية؟

لقمان عبد الله

ضاقت السعودية ذرعاً بأستعصاء الخلافات بين وكيلَي تحالف العدوان على اليمن، المُتمثّلَين في ما يُسمّى "الشرعية" و"المجلس الانتقالي الجنوبي". خلافاتٌ كشف استعارها في الشهور الأخيرة عجزاً كبيراً لدى الرياض عن إدارة المناطق التي تُسمّى محرّرة في المحافظات الجنوبية. إلا أنه في ظلّ الاستحقاقات العالمية والتحدّيات الإقليمية المتسارعة، لم يعد بإمكان المملكة التسويف أو إدارة الظهر لما يحدث في تلك المحافظات، ولا سيما أن قوات صنعاء باتت على عتبة تحوّلات مهمّة في مسار الحرب، بوصولها إلى أبواب مدينة مأرب الحيوية جدّاً في موازين القوى، والتي تتعدّى تأثيرات السيطرة عليها الداخل اليمني إلى الإقليم، فضلاً عن الخشية من تبدّل الاستراتيجية الأميركية في المنطقة، بما فيها اليمن.

بناءً عليه، بدت السعودية، بإعلانها أول من أمس استكمال الترتيبات اللازمة لتنفيذ "اتفاق الرياض" المُوقَّع بين "الانتقالي" وحكومة الرئيس المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي (تنفيذ الإجراءات الأمنية والعسكرية في خلال أسبوع ومن ثمّ تأليف حكومة من 24 وزيراً)، ساعيةً إلى تصفير الكثير من المشاكل العالقة، وإعادة رسم حدود العلاقات والأدوار بين الوكلاء وفقاً للمعطيات الجديدة، وعنوانها ضرورة التفرّغ للتهديد الإيراني في الإقليم. لكن ذلك لا يعني أن المشكلة انتهت؛ إذ إن فقدان الثقة بين الأطراف المحليين، وتضارب المصالح بين الرعاة الإقليميين، يبدوان أكبر من قدرة السعودية على احتواء الموقف من خلال تطبيق "اتفاق الرياض" ومندرجاته، هذا إذا حَسُنت أصلاً نيّات طرفيه، وهو أمر مشكوك فيه.

وبعد أكثر من سنة من التعثّر والفشل، دفعت التطورات الأخيرة المملكة إلى الزجّ بكبار مسؤوليها للدفع باتجاه تطبيق "اتفاق الرياض". وفي هذا الإطار، زار أواخر الشهر الماضي نائب وزير الدفاع السعودي، خالد بن سلمان، الرئيس المنتهية ولايته، في مقرّ إقامة الأخير في الرياض، حيث أثار، آنذاك، غضب مسؤولي ما يُسمّى "الشرعية"، على خلفية تغريدة له على "تويتر" بعد لقائه هادي، أعلن فيها أنه شدّد أمام الأخير على ضرورة المضيّ قُدُماً في تنفيذ "اتفاق الرياض" لـ"تعزيز السلام والاستقرار"، و"وضع مصلحة اليمنيين فوق كلّ الاعتبار". وهو ما اعتُبر من قِبَل أولئك المسؤولين نوعاً من "الوصاية"، من خلال فرض إملاءات في شأن تأليف الحكومة قبل تنفيذ الشقّ الأمني، فيما أفادت مصادر مطّلعة بأن هادي استمهل ابن سلمان أسبوعين لاستشارة مجلس مستشاريه وكبار مسؤولي حكومته.

وليست واشنطن، هي الأخرى، بعيدة عن تلك التطوّرات، إذ تتحرّك الإدارة الحالية من منطلق القلق الشديد على حليفتها (السعودية) في المنطقة، في ظلّ الاختلال في موازين القوى لمصلحة قيادة صنعاء. وفي بداية الأسبوع الحالي، زار مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأدنى، ديفيد شينكر، ومعه السفير الأميركي لدى اليمن كريستوفر هنزل، نائب الرئيس المستقيل، علي محسن الأحمر. وبحسب المعلومات، فقد طلب شينكر، في خلال اللقاء، التعجيل بتطبيق "اتفاق الرياض"، مبدياً رغبة بلاده في توحيد صفوف المكوّنات اليمنية المنضوية تحت لواء تحالف العدوان لمواجهة "التحدّيات المشتركة"، ومن بينها "محاربة الإرهاب"، ووقف "مطامع إيران في المنطقة، وحماية الممرّات المائية والدولية".

ويبدو أن كلا الطرفين تَعرّض لضغوط شديدة للموافقة على تنفيذ الاتفاق، وهذا ما أكده مسؤولون منهما، إذ قال مستشار هادي ووزير الإعلام في حكومته، معمر الإرياني، إن الرئيس المنتهية ولايته قاوم ضغوطاً شديدة لإجباره على إعلان تأليف الحكومة قبل تنفيذ الشقّ العسكري والأمني، على أن "الانتقالي" ظهر أكثر تضرّراً من الاتفاق بصيغته الحالية، بعدما رفض مراراً تقديم الأمني - العسكري على السياسي، على اعتبار أن ذلك من شأنه قضم المكاسب التي حَقّقها في معاركه العام الماضي على غريمه، حزب "الإصلاح" (الإخوان). وفي هذا الإطار، غرّد الناطق باسم "الانتقالي"، نزار هيثم، على "تويتر"، بالقول: "لأجل الجنوب وأهله الكرام يَرخُص كلّ غالي، لأجل السلام فلْنُوَجّل التباينات، وفي سبيل حقن الدماء سنتنازل ونتصالح ونتقارب، وسنعمل يداً بيد وكتفاً بكتف".

وسبق التحرّك السياسي الأخير اتخاذُ السعودية جملة إجراءات ولّدت فراغاً كبيراً في المحافظات الجنوبية، سرعان ما تَحوّل إلى فوضى وتدهور أمني وانهيار حادّ للمنظومة الاقتصادية. ومن بين تلك الإجراءات:

- ممارسة ضغوط كبيرة على قيادة "الانتقالي"، وحجز قياداته السياسية والأمنية في الرياض، ومنع عودتهم إلى عدن أو بقية المحافظات الجنوبية. وهو إجراء مَنَع التواصل بين قيادات المجلس وقاعدته الشعبية.

- إثارة التناقضات بين قيادات "الانتقالي"، من خلال تغذية النعرات المناطقية والقبلية. وفي هذا السبيل، عملت السعودية على استمالة العضو في "هيئة مجلس الرئاسة" في "الانتقالي"، والمشرف على ميليشيات "الحزام الأمني"، وكيل محافظة عدن الشيخ السلفي عبد الرحمن شيخ، الذي كان محسوباً على الإمارات سابقاً. وفي نهاية الأسبوع الماضي، استفاق أهالي عدن على اشتباكات بين مكوّنات وفصائل تابعة للمجلس، ليتَبيّن أن ما جرى عبارة عن رسالة سعودية مشفّرة من قِبَل جناح يقوده عبد الرحمن شيخ، بمعاونة أعضاء آخرين في "هيئة رئاسة المجلس". كذلك، تجلّى، في خلال الشهور الماضية، عمق الاختلافات بين القيادات المنتمية إلى منطقة يافع في محافظة لحج، وتلك المنحدّرة من محافظة الضالع، وكلتاهما تُعتبران الخزان البشري الرافد لـ"الانتقالي".

- إغراق العاصمة الاقتصادية لليمن، عدن، وبقية المحافظات الجنوبية، في الفوضى والفساد، بغية إظهار "الانتقالي" في مظهر العاجز والفاشل، والمتسبّب، من خلال "تمرّده على "الشرعية"، في انهيار خدمات الكهرباء والمياه والصرف الصحّي والانفلات الأمني المريع، وحرمان الموظفين من رواتبهم للشهر السادس على التوالي، والانهيار الحادّ في العملة الوطنية، فضلاً عن انتشار العصابات المسلحة وصراعات الفصائل.

والجدير ذكره أن هذه ليست المرّة الأولى التي يعلن فيها "التحالف" الاتفاق على تنفيذ "اتفاق الرياض" المُوقّع في 5 تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، إذ في كلّ مرة، كان الخلاف حول أسبقية الشقّ الأمني على السياسي أو العكس يحول دون تنفيذ الاتفاق؛ أراد "الانتقالي" تأمين موقعه السياسي قبل التخلّي عمّا يمنحه أفضلية عسكرية في أجزاء من جنوب اليمن، بينما تطلّع هادي إلى دمج قوات المجلس عسكرياً وأمنياً ضمن قوات الحكومة قبل أن يتنازل عن أيّ سلطة سياسية. وكانت المملكة أعلنت، في 29 تموز/ يوليو الماضي، ترميم الاتفاق من خلال ما أُطلق عليه "الآلية التنفيذية" لتسريع عملية التنفيذ، والتي ركّزت على التزامن في تطبيق الشقين السياسي والعسكري، وموافقة الجانبين على ذلك.

تقرير

برلمان مصر الجديد: نوّاب بأمر الرئيس

> برلمان جديد بأفكار قديمة. هكذا يبدو البرلمان المصري المنتخب أخيراً والمفترض أن يستمرّ خمس سنوات بدءاً من الشهر المقبل. ليكون آخر برلمان منتخَب تحت إشراف قضائي

القاهرة ـ الأخبار

مع أنها آخر انتخابات برلمانية تُجرى في مصر تحت إشراف قضائي، بموجب الدستور الحالي الذي حدّد عشر سنوات بدءاً من عام 2014 موعداً لإنهاء الإشراف القضائي الكامل على العملية الانتخابية والاكتفاء بوجود الموظفين بدلاً من قاضٍ على كلّ صندوق، فإن المسألة لم تعُن نظام عبد الفتاح السيسي الذي زوّر الانتخابات بدعم القضاة الذين يتقاضون عشرات الآلاف من الجنيهات مقابل الإشراف الشكلي على العملية الانتخابية التي شهدت خروقات فجّة. صحيح أن منظّمات المجتمع المدني والصحافة لم تنشر كثيراً عن الخروق التي دفعت إلى عزوف الناخبين في غالبية الدوائر المشاركة، لكن عمليات التزوير بدت لافتة، سواءً في الجولة الأولى ضدّ النائب محمد فؤاد والتلاعب في الأصوات لإسقاطه، أو الجولة الثانية ضدّ النائب أحمد طنطاوي الذي حصل على أعلى الأصوات لكن رئيس اللجنة العامة لدائرته صعّد المرشح الرابع هناك ليكون أولاً، وليرحل طنطاوي بعيداً من الثلاثة الأوائل الذين ضمنوا كرسي البرلمان.

التزوير لم يقتصر على القضاة في بعض اللجان، بل امتدّ ليكون منهجياً وبدعم من «الهيئة الوطنية للانتخابات» برئاسة المستشار لاشين إبراهيم، الذي يشغل منصب نائب رئيس «محكمة النقض». فالهيئة التي يُفترض أنها جهة قضائية مستقلة، تحجب أرقام التصويت بالنسبة إلى القوائم، وترفض الكشف عن الأرقام التي وصلتها، بل تفرض تعتيماً كاملاً على فرز الأصوات وحسابها، ثم تُقرّر أن تعلن الأرقام في مؤتمر صحافي بعد الانتخابات بأسبوع كامل، بما يضمن حرمان أيّ شخص لا ترغب فيه من النجاح، من دون وقوع إحراج كبير لها. مع ذلك، دفعت المخاوف من التشكيك في النتائج، إبراهيم، إلى منع المتحدّث باسمه محمود الشريف من التصريح، وذلك لتجنّب أيّ تضارب في البيانات، مع رفض استقبال أيّ أسئلة إعلامية علناً عن تفاصيل تخصّ العملية الانتخابية مثل الحشد وغياب أيّ إجراءات جادّة بحق مرشحين ثبت إنفاقهم أموالاً من أجل الوصول إلى الكرسي.

هذا التزوير والتحايل يكشف جزءاً من سيناريو يرتبط بتركيبة البرلمان المقبل، وتغيير خلفيات النواب، والمفارقة أن تكتل «25-30» المعارض لم ينجح منه سوى نائبين فقط هما ضياء الدين داوود وأحمد الشرقاوي، فيما خسر باقي النواب أو لم يترشّحوا من الأساس. وفي المحصّلة، امتلك حزب «مستقبل وطن» الغالبية الساحقة بعد حصوله على 316 مقعداً: 145 عن طريق القائمة و171 في المقاعد الفردية. والحزب الفائز، الذي أسّسته المخابرات ومولّته من جيوب رجال الأعمال وكبار العائلات، هو عملياً تجمّع لفلول «الحزب الوطني» المحلول إبّان تنحّي محمد حسني مبارك، كما يضمّ الراغبين في الحصانة. والنتيجة أن المجلس الجديد تغيّر بصورة كبيرة، فاستبدل النظام بمؤيّدين له وجوهاً مختلفة لن تؤيّده فقط، بل سترفع سقف القمع وتُقنّن فرض مزيد من الضرائب على المواطنين بما يخدم السياسات الاقتصادية الحكومية حتى لو كانت ضدّ مصلحة الشعب، التي يفترض أن يرفع النواب لواءها.

أيضاً، في الاستعدادات التي سبقت الانتخابات كوارث كثيرة بدأت تتكشّف يوماً بعد الآخر، بداية من القائمة التي جمعت مجموعة من الأحزاب وفُرض فيها مرشّحو «مستقبل وطن» مع أن غالبيتهم لم ينتموا إلى الحزب أصلاً، وصولاً إلى الإقصاء المتعمّد لـ«المصريين الأحرار» الذي أسّسه رجل الأعمال نجيب ساويرس وفاز بغالبية البرلمان

> ليس لدى «مستقبل وطن» برنامج واضح إنما ينتظر تعليمات الرئيس

قبل أن تحدث خلافات بين أعضائه لتقسمه إلى جبهتين، الكبرى منهما حظيت بدعم المخابرات قبل أن تتخلّى عنها الأخيرة وتُخرج الحزب كلّياً من البرلمان المقبل، سواء باستقطاب عدد من أعضائه لدى أحزاب أخرى أو إسقاط نوابه في الانتخابات. ومن مفارقات الانتخابات، كذلك، وجود 95 مقعداً للمستقلّين، وهي نسبة كبيرة محسوبة على «مستقبل وطن» حتى لو لم تنتمِ إليه مباشرة، مع أعداد محدودة نجحت فردياً بالفعل لكن ليس لها تاريخ سياسي معارض. أمّا «الشعب الجمهوري» الذي يموّله رجل الأعمال أحمد أبو هشيمة، صاحب الفيديوهات الجنسية الفاضحة وعضو مجلس الشيوخ والمرتبط بعلاقات مالية مع الخليجيين، فحلّ ثانياً بعد أكبر كتلة برلمانية، إذ حصد 50 مقعداً منها 28 من حصته في «القائمة الوطنية» التي نجحت بكاملها على مستوى الجمهورية.

حتى «الوفد» الذي يُعدّ أعرق الأحزاب المصرية وأقدمها لم ينجح سوى بالحصول على 25 مقعداً، أربعة منها في الفردية فقط، فيما لم يحصد السلفيون سوى 7 مقاعد عبر «النور». وهذا كلّه يؤكد أن النسخة الأخيرة من مجلس الشعب فيها وجوه جديدة بأفكار قديمة وسياسات مكرّرة، لكن هذه المرّة عليهم تقديم أكبر دعم للحكومة، علماً أن «مستقبل وطن» الذي يفترض أن يكون الحزب الحاكم ومشكّل الحكومة المقبلة لا يملك أي رؤية سياسية بعد، وكلّ ما لديه توجيهات مباشرة يجب تنفيذها وفق رؤية الرئيس التي تنقلها المخابرات إلى قادة الحزب، والأخير يرأسه المستشار عبد الوهاب عبد الرازق الذي كان الرئيس الأسبق للمحكمة الدستورية وداعم السيسي في الوصول إلى كرسي الرئاسة.

إضاءة

ليس مجرّد تطبيع
في حبّ الحسن الثاني لإسرائيل

حسام عبد الكريم

في 9 تموز/ يوليو 2020، عمدت صفحة «إسرائيل تتكلّم بالعربية» على «فايسبوك» إلى تعداد مظاهر التكريم التي قامت بها «دولة إسرائيل»، لتخليد اسم الحسن الثاني في الذكرى الـ91 لميلاده، فقالت: أُقيم نصب لتخليد ذكراه في مدينة «بتاح تيكفا»؛ أُطلق اسمه على أحد الشوارع الرئيسة في بلدة «كريات عكرون» في وسط إسرائيل؛ أقيمت حديقة لتخليد ذكراه في مدينة «أشدود»؛ أقيم ممشى باسمه في مدينة «كريات جات». وعند وفاته، أصدرت إسرائيل طابعاً بريدياً يحمل صورته، كُتب عليه بالعربية: صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب.

معالم التكريم هذه، لم تأتِ من فراغ، فما قدّمه الحسن الثاني لإسرائيل من خدمات، يصعب حصره في مقالة أو اثنتين. إنه تاريخ طويل من التعاون والتنسيق، بل والتحالف، يعود إلى بدايات تولّيه عرش المملكة المغربية، عام 1961، حينما وجد الملك الشاب نفسه في محيط هائج مضطرب، حيث الثورات الشيوعية والاشتراكية تغزو أنحاء كثيرة من العالم، وحركات التحرّر الوطني تتواصل بلا توقّف في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية، لتطرد الاستعمار القديم وتطرد معه توابعه من أنظمةٍ ملكية ومحميّات قبليّة ووكلاء. وبجواره في الجزائر، كانت الثورة الكبرى في أوجّها، وكانت تحظى بدعم لا محدود من نظام عبد الناصر في مصر، عدوّ الملكيّات العربية جميعها. التهديد كان كبيراً، والشعب المغربي لم يكن بمنأى عن «العدوى الثورية» التي تهبّ رياحها وتشتدّ مع توالي سقوط الملكيات العربية من مصر إلى العراق إلى اليمن. توجّه الحسن الثاني ببصره إلى الشرق، ليجد إسرائيل الدولة المنبوذة اللقيطة المزروعة في المنطقة قسراً، والتي تعادي جميع الحركات الثورية والأنظمة التقدّمية والأحزاب القومية العربية والمنظّمات اليسارية في المنطقة، عن بكرة أبيها. رأى الحسن الثاني في إسرائيل حليفاً محتملاً يمكن الوثوق به والركون إليه عند الحاجة. وكان الإغراء الإسرائيلي كبيراً، خصوصاً مع معرفة الملك الشاب بما للكيان العبري من حظوةٍ لدى الدول الكبرى في الغرب، ما يُيَسّر له الأمور ويفتح له الأبواب المغلقة للوصول إلى مراكز صنع القرار في باريس ولندن وواشنطن، التي هي، بنظره، أقوى وأفضل ضمانٍ لحُكمِه وعرشِه.

لم يُضع الحسن الثاني وقتاً. وما بين عامَي 1961 و1964، بدأ العمل مع إسرائيل سرّاً؛ فساعدها على تهجير ونقل 97 ألفاً من اليهود المغاربة - عبر أوروبا - إلى فلسطين المحتلّة (كانت هجرة يهود المغرب إلى إسرائيل قد أُوقفت عام 1956). وفي عام 1965، عقد صفقة معها، إذ قام بالسماح لـ«الموساد» الإسرائيلي بالتجسّس على مؤتمر القمّة العربية الذي عُقد عنده في المغرب، وسجّل كلّ المداولات والنقاشات، بما فيها السرّية والمغلقة. وفي المقابل، ساعده «الموساد» في تعقّب واختطاف وقتل المعارض المغربي الأبرز والأخطر له، المهدي بن بركة، في باريس.

وعلى رغم العلاقات السرية الوثيقة التي كان الحسن الثاني قد نسجها مع إسرائيل، إلّا أنّه، بذكائه الفطري، لم يكن يغفل عن أهمية الظهور أمام

> لعب الحسن الثاني دوراً مهمّاً في التقريب بين مصر وإسرائيل

شعبه بمظهر المؤيّد للحق العربي في فلسطين. وهكذا، اتخذ قرار إرسال لوائي مشاة ضمّا عشرات الجنود، واحد إلى الجبهة المصرية، وآخر إلى الجبهة السورية، للمشاركة في «حرب أكتوبر» 1973، عدا الكلام العلني عن المسجد الأقصى واهتمام «أمير المؤمنين» به. وعندما أسّست منظمة المؤتمر الإسلامي «لجنة القدس»، عام 1975، أسندت رئاستها إلى الحسن الثاني.

لعب الحسن الثاني دوراً مهمّاً في التقريب بين مصر وإسرائيل، عن طريق تسهيل وتشجيع الاتصالات السرية بين الطرفين. فحينما بدأ أنور السادات استعداداته لمشوار «السلام»، لم يجد أفضل من صديقه الملك ليساعده في نقل أفكاره لإسرائيل والتواصل مع قياداتها. وبالفعل، قام الحسن الثاني بترتيب أهم لقاء سري جرى قبيل زيارة السادات إلى القدس، عام 1977، بين وزير الأمن الإسرائيلي، موشيه ديان، ومستشار السادات المقرّب، حسن التهامي، حيث اجتمعا في المغرب وبرعايته. وفي الثمانينيات، اعتبر الحسن الثاني أنّ الوقت قد حان والظروف تهيّأت للمجاهرة بعلاقته مع إسرائيل، وكسر المزيد من «الحواجز النفسية» بين العرب وإسرائيل. في عام 1986، استقبل رئيس الحكومة الإسرائيلية في قصره في الرباط، وسمح الملك بالإعلان عن تلك الزيارة واللقاء الذي جمعه مع شمعون بيريز. ويومها، قال الإعلام المغربي إنّ الاجتماع حصل «من أجل دعم الشعب الفلسطيني». وفي عام 1990، عيّن الحسن الثاني أندريه أزولاي، وهو يهودي مغربي - فرنسي عالي الثقافة، مستشاراً خاصّاً له. بقي أزولاي لصيقاً بالملك بعدها، يقدّم له «النصح» في كلّ محطّاته إلى أن توفّي عام 1999، فكان من ضمن «التركة»، فورثه محمد السادس وهو معه إلى اليوم. أرسلت إسرائيل وفداً ضخماً ضمّ 200 شخصية رسمية للمشاركة بجنازته والتعزية بوفاته.

ما بين عامي 1961 و1964، بدأ الحسن الثاني العمل مع إسرائيل سرّاً (من الويب)

ليبيا

الخلافات تفخّخ المفاوضات
حفتر يستعدّ للمواجهة

يدوان الضغوط الدولية الحالية على الليبيين. تدفع نحو التوافق وتجنّب سيناريو الحرب الذي يلوح بقوّة. خصوصاً في ظلّ تصريحات قوّات خليفة حفتر عن الاستعداد للمواجهة. مع ذلك، تزداد الخلافات بين جميع الأطراف

بدأت البعثة الأممية إلى ليبيا جولة مفاوضات أخرى، أول من أمس، يُفترض أن تكون الأخيرة ضمن «ملتقى الحوار السياسي» من أجل التوصل إلى توافق على آلية تسمية الشخصيات التي ستتولّى المناصب السيادية في السلطة الانتقالية. جولةٌ تُعقد عبر الاتصال المرئي لـ75 مشاركاً يمثّلون مختلف الأطراف، فيما ينحصر التصويت بين طريقتين للترشيحات بدلاً من عشر، وتشترط البعثة التوافق بنسبة 75% وليس الغالبية فقط.

على رغم أن الصعوبة التي ستواجه المتحاورين ستكون مسألة دمج المؤسسات الأمنية التي يفترض أن تكون على رأس أولويات الحوار بسبب الأعداد الكبيرة من المرتزقة الذين يملكون السلاح في مناطق رئيسة، إلّا أن الصراع الداخلي على ترشيح بعض الشخصيات يسيطر على النقاشات. فبعض النواب في البرلمان يقولون إن الإسلاميين وداعميهم الذين يمثلون نحو 40 عضواً من أصل 75 مشاركاً، يدعمون الآلية الأممية الثالثة التي تقترح وصول مرشحهم، وزير الداخلية الحالي، فتحي باشاغا، إلى رئاسة الحكومة، في الوقت الذي تقصيه الآلية الثانية من المنصب، علماً أنه عبّر في أحاديث جانبية عن رغبته في رئاسة الوزراء، بل فتح، في سبيل ذلك، قنوات اتصال مباشرة مع مصر الشهر الماضي.

في غضون ذلك، صدرت تشديدات أخرى عن الرئاسة المشتركة لفريق العمل المعني بالقانون الدولي الإنساني، ويضم البعثة الأممية وكلاً من سويسرا وهولندا، وهو أحد مخرجات «مؤتمر برلين»، حاثاً الأطراف المشاركة على «إعلاء احترام القانون الدولي وحقوق الإنسان، مع العمل على تأمين سلامة الليبيين كافة»، في خطوة من شأنها الضغط على الأطراف للتوصل إلى اتفاق. ويسعى رعاة الحوار إلى بدء المسار السياسي المتّفق عليه، بإجراء

> تضج «الوفاق» وقوات حفتر بخلافات داخلية كبيرة وسط كل واحدة

انتخابات برلمانية ورئاسية واعتماد دستور جديد خلال 18 شهراً كحدّ أقصى، على أن تجرى الانتخابات في كانون الأول/ ديسمبر المقبل. مسارٌ لا يزال يصطدم بالتوافق على الشخصيات التي ستتولى المناصب، ولا سيما مع رغبة يبديها كثر في ترؤّس الحكومة الانتقالية، وإقدام رجال أعمال على ضخ أموالهم للفوز بهذا المنصب عبر التواصل مع أعضاء الملتقى.

من جهة أخرى، وعلى رغم حالة الاستنفار العسكري سواء لدى قوات خليفة حفتر التي تركز نشاطها على السفن في البحر، أو لدى حكومة «الوفاق الوطني» التي تواصل تلقّي إمدادات عسكرية من تركيا، اقتصرت لغة التصعيد المتبادلة، في خلال الأيام الماضية، على الإعلام دون تحركات ميدانية. يأتي ذلك في وقت تتواصل الخلافات الداخلية بين قيادات «الوفاق»؛ إذ إن محافظ «مصرف ليبيا»، الصديق الكبير، قدّم شكوى إلى النائب العام في أعقاب قرار بمنعه من السفر صدر من باشاغا على خلفية الصدام بين الكبير ورئيس الوزراء، فائز السراج، ووزير ماليته ورئيس المؤسسة الوطنية للنفط، بعدما شجّع المحافظ الإبقاء على العائدات من بيع النفط في الخارج، انتظاراً لتحقيق التوافق على تقاسمها. ودخل محافظ «المركزي» في صدام، منذ أشهر، مع السراج، بعدما قرّر المصرف الأخير تشكيل جمعية عمومية للمصرف الخارجي، وهو ما رأى الكبير أنه يدخل ضمن اختصاصاته. كما يواجه القائمون على المصرف اتهامات بإنفاق مليارات الدولارات خلال السنوات الماضية وتهريبها من البلاد، بشكل غير شرعي، وسط أزمة اقتصادية ستدفع نحو إعادة تقييم سعر صرف الدينار الليبي أمام العملات فور الاتفاق على توحيد المؤسسات المالية. ويتذرّع الكبير بأن تبعية المصرف للسلطة التشريعية، لا تسمح لوزير الداخلية أو رئيس الحكومة في التدخل في عمله ومراقبته. أما المقرّبون من السراج، فيقولون إن خطوة المنع من السفر تأتي استباقاً لمحاكمة قد يحال إليها المتهم في الأسابيع المقبلة، خاصة في حال تغيَّرت السلطة.

ولم تعد الخلافات بين قوات حفتر مرتبطة بوجود نقص في الأسلحة في بعض المناطق فقط، بل بنقص الأموال التي يتقاضاها عدد من أعضائه، ما ينذر بأزمة قد تظهر تبعاتها إلى العلن الشهر المقبل. لذلك، يأمل أتباع المشير في الحصول على جزء من عائدات النفط لتسوية بعض الرواتب والأموال المتأخّر سدادها في المناطق الخاضعة لسيطرته. بجانب ذلك، يترقب حفتر و«الوفاق» العودة إلى الناقش عبر المسار العسكري ولجنة «5+5» التي يفترض أن تجتمع في وقت لاحق الشهر الجاري، للتفاهم على وضع جديد للمرتزقة والقوات الأجنبية، خاصة أن مهلة الأشهر الثلاثة لتجميعهم وحصرهم تمهيداً لإخراجهم من البلاد، انتهى منها نحو شهرين دون أيّ تقدم ملحوظ على الأرض.

(الأخبار)

وفيات

بسم الله الرحمن الرحيم
((يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي))
بمزيد من الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره ننعي إليكم فقيدنا الغالي
المرحوم السيد نزار زين هاشم
زوجته: الحاجة وفيقة محمد جليلاتي
ولداه: السيد محمد زوجته المحامية شيرين قطيش، السيد مازن زوجته منى حريري
بناته: أمل، هنا، غنى، فرح
أصهرته: محمود غندور، حسام سقسوق، بلال عرقجي، نجاد شرف الدين
أشقاؤه: المرحوم السيد أحمد، الدكتور السيد محمد، المرحوم السيد حيدر، السيد جعفر، السيد عدنان، والمرحوم الدكتور السيد عصام
شقيقته: المرحومة الحاجة ليلى زوجة المرحوم الحاج نديم نجدي
يُصلى على جثمانه الطاهر عند صلاة الظهر اليوم السبت الواقع فيه 2020/12/12 حيث يوارى الثرى في بلدته حاروف.
ملاحظة: بسبب الأوضاع الصحية الراهنة وجائحة كورونا تُقبل التعازي على الأرقام التالية:
ولده محمد: 03/559099
ولده مازن: 81/634089
شاكرين لكم مشاركتنا العزاء والدعاء للفقيد بالرحمة
إنا لله وإنا إليه راجعون
للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب
الراضون بقضاء الله وقدره:
آل هاشم وجليلاتي وغندور وسقسوق وعرقجي وشرف الدين وقطيش وحريري ونجدي وعموم أهالي بلدة حاروف.

مبوب

خرج ولم يعد

غادرت العاملة الاثيوبية
Zinash Geze Balcha
من منزل مخدوميها الرجاء ممن يجدها الاتصال على الرقم
03/943471

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار
alakhbar
هاتف 01-759500
فاكس 01-759597

إعلانات رسمية

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لشراء إطارات بقياسات مختلفة لزوم آليات المؤسسة، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/7820 تاريخ 2019/7/30، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/1/15 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ وقدره /000 30/ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 8 كانون الأول 2020
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 1188

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض العائد لتأهيل أنظمة الحماية والتحكم والقراءة العائدة لخلايا التوتر العالي 66 ك.ف. في محطة المريسة الرئيسية مع شراء قطع الغيار الضرورية لها، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/12411 تاريخ 2019/11/29، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/1/22 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ وقدره /000 150/ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 8 كانون الأول 2020
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 1192

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ وقدره /000 300/ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 8 كانون الأول 2020
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 1189

إعلان
من أمانة السجل العقاري في الشوف
طلبت نجوى ميشال العتر احد ورثة نوال ميشال العتر سند ملكية بدل ضائع عن حصة مورثتها في القسم 6 من العقار 2064 دير القمر.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في الشوف
هيثم طربيه

إعلان
طلب المحامي عبدالله خازم اثبات بيانات زينب محمد امين عبدالله وزهرة محمد امين عبدالله في العقار رقم 769 مليخ.
للمعترض 20 يوماً للمراجعة
القاضي العقاري محمد الحاج علي

إعلان قضائي
صادر عن محكمة جويا المدنية الناظرة في قضايا الأحوال الشخصية برئاسة القاضي ريشار السمرا
بتاريخ 2020/11/3 تقدم المستدعي أحمد بندر بطلب حصر إرث مدني للمرحومة منيره محمد الفاعور رقم 2020/170 مدلياً أنه بتاريخ ما قبل احصاء عام 1932 توفيت المرحومة منيرة محمد الفاعور وانحصر ارثها بابنة اختها روشنة بنت محمد الفاعور المتوفية قبلها، غزالة سليمان العبد وكل من له اعتراض يستطيع التقدم به امام هذه المحكمة خلال عشرين يوماً من تاريخ النشر.
رئيس القلم
زينب نزيه أيوب

استراحة

كلمات متقاطعة 3620

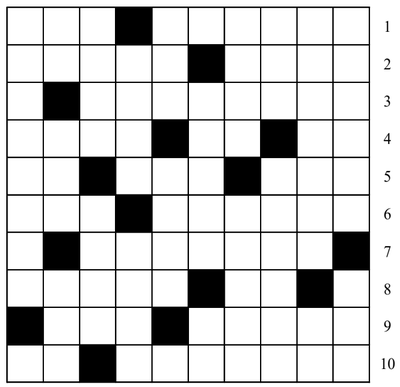

افقيا
1- بحر أوروبي – رجل أسطوري إشتهر بالحمق والبلاهة تُنسب إليه نوادر وفكاهات – 2- جزيرة إيطالية – طعام شائع يُعرف في مصر بالطعمية – 3- فقيه من اهل البصرة إشتهر بتفسير الاحلام – 4- امر مكتوم – حرف جر – يقدّم إليه النصح – 5- وكالة أنباء عربية – افتح وأباعد بين رجلي – هرب من السجن – 6- إحدى الولايات المتحدة الأميركية – ضوء القمر – 7- عائلة فلكي ورياضي فرنسي راحل – 8- جنس حيّات خبيث جداً – إحساسي – 9- عرّاف ذكر في التوراة والقرآن – يشي – 10- بحر أوروبي – نصيب في الحياة

عمودياً
1- بحر اوروبي – مدينة تاريخية شمالي إمارة الفجيرة إشتهرت في صدر الإسلام أثناء حروب الردّة – 2- عاصمة أفريقية – متشابهان – 3- قرى كبيرة اهلة بالسكان – ضد الأسهل – 4- أجمل وأحسن – قيود من حديد تُجعل في الأيدي – 5- يداور في السياسة – مدّ الطائر جناحيه – 6- آلات حادة تُستعمل في الحلاقة – ما يفرش من متاع البيت – 7- مدينة بلجيكية – صوت الغراب – 8- نسَقٌ بين الألوان في رسومه – معتقلات الأسرى – 9- صوّت ورق الشجر – وارى الميت الثرى – سلاح قديم – 10- بحر متفرّع من المتوسط

حلول الشبكة السابقة

افقيا
1- مسقط – المرج – 2- طبرق – لمّا – 3- نمر – مصر – أم – 4- بن – دل – يانع – 5- الوابل – 6- أصفهان – بدّل – 7- نرسيس – هيفا – 8- بر – طنين – 9- في – مط – له – 10- كارون – لوفر

عمودياً
1- مون بلان – فك – 2- من – صربيا – 3- قطر – افسّر – 4- طب – دلهي – بو – 5- رمل واسط – 6- اقصَ – ان – نمّ – 7- ريب – هيطل – 8- ملّ – البيّن – 9- رمّان – دف – لف – 10- جامع الأزهر

sudoku 3620

1		4	2			9		7
6				7	9		4	
		3					5	
		7	1	6	5	2		
3							8	5
	4			3		6	9	
			4					
5	6	9		2				8
					8	5	1	

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 3619

6	4	1	9	8	5	2	3	7
2	8	3	7	4	6	1	5	9
7	9	5	2	1	3	4	6	8
8	1	6	5	7	9	3	2	4
4	5	2	8	3	1	7	9	6
9	3	7	4	6	2	5	8	1
1	2	4	3	9	8	6	7	5
3	6	8	1	5	7	9	4	2
5	7	9	6	2	4	8	1	3

مشاهير 3620

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مفكر وكاتب وناقد ومترجم سوري (1939-2016). أقام فترة في لبنان. هاجر الى فرنسا حيث تفرّغ للكتابة والتأليف. من أعماله « الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية »

5+3+8+2+10 = غطاء أحمر للرأس ■ 9+1+6+4+3 = يجرّ عنوة ■ 7+11 = للنداء

حل الشبكة الماضية: **جياني فاتيمو**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 12 كانون الأول 2020 العدد 4222

صورة وخبر

عبر موقعه الإلكتروني الرسمي وحسابه على إنستغرام، أكد فنان الشارع البريطاني مجهول الهوية بانكسي أنّه يقف وراء الجدارية التي ظهرت في بريستول صباح أوّل من أمس الخميس. تزامناً مع استمرار جائحة كورونا، أُزيح الستار عن العمل الذي يحمل اسم !Aachoo، ويُظهر امرأة عجوزاً تفقد أسنانها الاصطناعية أثناء العطس وتحمل منديلاً، فيما تسقط عصا المشي الخاصّة بها وحقيبة يدها. (جيف كاديك ــ أ ف ب)

لويزة قادري «فوق الألم»

تعرض «مؤسسة عبد الحميد شومان»، يوم الثلاثاء المقبل، الفيلم الجزائري القصير «فوق الألم» (2019 ـ 17 د) للمخرجة لويزة قادري عبر موقعها الإلكتروني. «حياة» (25 عاماً)، فنّاة بكماء وصماء تُصاب بالسرطان وتُخفي الحقيقة عن عائلتها. إلّا أنّها تجد الدعم من صديقتها «منى»، ومن أسرتها لاحقاً. خلال تلك الفترة، تحاول البطلة تحقيق حلمها على رغم مصيرها المحتوم. يتبع العرض مناقشة مع المخرجة عبر تطبيق «زوم» وصفحة المؤسسة على فايسبوك، على أن يحاورها الناقد رسمي محاسنة.

عرض «فوق الألم»: الثلاثاء 15 كانون الأوّل (ديسمبر) الحالي ـ الساعة السادسة والنصف مساءً بتوقيت بيروت ـ موقع «مؤسسة عبد الحميد شومان» الإلكتروني. (رابط النقاش على موقعنا ـ رمز المرور: 81090574590)

مطار القدس بعدسة ناهد عوّاد

بعد غدٍ الاثنين، ينظّم «المتحف الفلسطيني»، عبر تطبيق «زوم»، عرضاً لفيلم «5 دقائق عن بيتي» للمخرجة ناهد عوّاد (الصورة)، يتبعه نقاش تديره المدوِّنة السينمائية والإعلامية سماح بصّول. يستعرض الشريط مطار القدس على طريق القدس ـ رام الله، الذي تمّ احتلاله من قِبَل الصهاينة في 1967، على بُعد خمس دقائق من رام الله و10 دقائق من القدس. أمّا اليوم، فيقف حاجز قلنديا العسكري في نهاية مدرج المطار من الشرق، ليصبح طريق القدس ـ رام الله مسدوداً. تعود عوّاد إلى هذا المكان لتستحضر ماضيه المُشرق، في محاولة لفهم وسبر حاضره والهروب من واقعه الأليم اليوم.

عرض ونقاش حول «5 دقائق عن بيتي»: بعد غدٍ الاثنين ـ الساعة الثانية بعد الظهر بتوقيت بيروت ـ تطبيق «زوم» (الرابط متوافر على موقعنا)

ليلى بورصالي... أندلسيات في «بيت القصيد»

يستمرّ برنامج «بيت القصيد» في تقديم تجارب إبداعية من البلدان العربية كافة. وها هو يحطّ رحاله، اليوم السبت، في الجزائر حيث يستضيف الفنانة ليلى بورصالي (الصورة)، وهي من أبرز الأسماء التي تُقدّم الغناء الأندلسي بأسلوب يمزج بين أصالة الماضي وحداثة العصر. ولا عجب في أن تسمى «سيدة المقامات الأندلسية»، وهي التي تشرّبت حُبّ الموسيقى والغناء الأندلسيَّين منذ طفولتها. ورغم مغادرتها وطنها الجزائر إلى فرنسا، لم تنقطع بورصالي عن مزاولة نشاطها الفنيّ، حيث ظلّت حريصة على تقديم هذا الفن المغاير والمختلف منفردةً أو بالاشتراك مع فرق ومؤسّسات تُعنى به.

عن هذه التجربة وسواها، تتحدّث بورصالي لمضيفها الإعلامي والشاعر اللبناني زاهي وهبي على قناة «الميادين». تستعرض بداياتها ونشأتها في أسرة شجّعتها على حب الموسيقى والغناء، وكذلك تجربتها مع الغربة ثم عودتها إلى الجزائر وانطلاقها مجدّداً وإصدارها ألبومها الأول «فراق لحباب»، لتكرّ من بعده سبحة الأعمال التي خرجت بها عن «القوالب الكلاسيكية للغناء الأندلسي». كما تتطرّق بورصالي لخوضها تجربة التمثيل من خلال دور «صفية» في مسلسل «الجريح» (2019 ـ إخراج عبد الغني البقاعي)، وتقديمها لبرنامج تلفزيوني بعنوان «جاركه» يُعنى بالفن الأندلسيّ.

«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً على «الميادين»

أحوال لبنان... ستاند أب كوميدي

تعود شادن اسبرنزا (الصورة) إلى «مترو المدينة»، يوم الأربعاء المقبل، لتقدّم عرض الستاند أب كوميدي «لقد انتا* الوضع كلياً». تتطرّق شادن بسخرية إلى الكثير من المواضيع التي اعتادت أن تقدّمها في عروضها السابقة وفي الفيديوات التي تنشرها على السوشال ميديا. تتنقّل الصبية اللبنانية بين قضايا اجتماعية وسياسية، وبعض مما تستلهمه من حياة المثليين والمرأة في لبنان من المواضيع الآنية ضمن قالب تهكّمي. وكما هو متوقّع، سيكون العرض مساحة للتعليق على الأوضاع السائدة في لبنان أخيراً والكوارث المتلاحقة.

عرض ستاند آب كوميدي «لقد انتا* الوضع كلياً»: الأربعاء 16 كانون الأوّل (ديسمبر) الحالي ـ الساعة الثامنة مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

الأخبار
al-akhbar

السبت 12 كانون الأول 2020
العدد 4222 السنة الخامسة عشرة
Samedi 12 Décembre 2020 n°4222 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

نغوغي وا ثيونغو
كينيا الاستعمار والأساطير السحيقة

البقاء في أرض أجداده لغوياً وثقافياً حتّم على نغوغي وا ثيونغو (1938) الخروج من كينيا اضطرارياً لحوالى 20 عاماً نتيجة للمضايقات التي تعرضت لها عائلته من قبل نظام الرئيس دانييل أراب موي، والتي انتهت باعتقاله. ترافقت سيرة الكاتب والروائي والأكاديمي الكيني مع تاريخ الاستعمار في بلاده. روايته الأولى Weep No, Child صدرت في 1964، حول انتفاضة الماو ماو المناهضة للاستعمار في كينيا، فيما تلتها روايته الثانية «النهر الفاصل» (1965)، بعد سنة على تحرر البلاد من الحكم البريطاني. غير أن تركة الكولونيالية ظلّت حاضرة في رواياته وأعماله الأدبية التي شكّلت وثيقة أساسية عن التحولات والديكتاتوريات التي تلت الاستعمار، فيما ظلّ شبح بريطانيا حاضراً في اللغة والمؤسسات وجوانب أخرى من حكم الدولة. لم يكن إعلان نغوغي وا ثيونغو توقّفه عن الكتابة باللغة الإنكليزية، نهاية السبعينيات، مجرّد خيار أدبي جمالي، وإن كان لذلك علاقة بتاريخ طويل من القصص الشفهية التي تفتّح عليها وعيه الأدبي والسردي. العودة إلى لغة غيكويو كانت خياراً سياسياً، قاده إلى السجن لعام كامل، بعد تجرّئه على كتابة مسرحيّته «سأتزوّج حين أشاء» (1977) باللغة المحليّة في وقت كان يمنع فيه الكتابة بغير الإنكليزية. أثار العمل سخط السلطات في بلده لدى تقديمها في كاميريثو، ما أدى إلى اعتقاله في سجن مشدّد الحراسة لعام كامل. الأمر لا يتعلّق باللغة وحدها، بل بالمواضيع التي طرحتها المسرحية وشكّلت عصب أدبه، منها التحرر من الاستعمار، والصراع الطبقي، والحداثة والتقليد، والدين.

الكاتب الكيني الذي يعدّ أشهر كتّاب أفريقيا ما بعد فترة الاستعمار، بالإضافة إلى وولي شوينكا وتشينوا أتشيبي، كتب لحوالى 50 عاماً المسرحيات والروايات والمقالات السياسية والفكرية التي حملت تأثيرات أفكار فرانز فانون وكارل ماركس في نقده السياسي والفكري لأفريقيا ما بعد الاستعمار. حتى الخيال بالنسبة إليه، ظلّ مساحة سياسيّة راديكاليّة أيضاً عبّر عنها مراراً في دعوة الكتّاب الأفارقة إلى الكتابة بلغاتهم الأصلية، والتخلي عن اللغات الأوروبيّة لأنها تحجب القضايا والأفكار المطروحة عن أبنائها وأبطالها الحقيقيين. بعد عامين على صدور أحدث رواياته «التسعة المثاليون: ملحمة غيكويو وميومبي» بلغته الأصليّة، صدرت الرواية بالإنكليزية أخيراً (ترجمة ثيونغو نفسه). يعيد العمل واثيونعو إلى الواجهة في حدث أدبي استثنائي يقدّم ملحمة أفريقيّة عالمية. لا تزال كينيا تلهم الكاتب الثمانيني. روايته تنطلق أيضاً من التاريخ الشفهي المحلي في بلاده، ومن أسئلته الأساسية حول اللغة ودورها السياسي وأفكار أخرى من تلك التي طرحها في مجموعة مقالات بعنوان «تحرير العقل من الاستعمار» في الثمانينيات. أسئلة جوهرية يحتضنها الفضاء الجغرافي لجبل كينيا الذي زاره الفراعنة للتواصل مع الإله، والذي يسكنه شعب الغيكويو. بالانطلاق من أسطورة الأم ميومبي وزوجها غيوكويو وبناتهما العشر، تجري أحداث هذه الملحمة. تستقبل العائلة عشرات الخطابين القادمين لطلبهن من كلّ أنحاء العالم، فيما يضع الوالدان لهم اختبارات شاقّة؛ منها الجوع، والأفاعي والتماسيح قبل الموافقة على الزواج ببناتهما. ضمن هذه الحبكة المشبعة بعناصر الثقافة الشعبية الغيكويو، يقدم وا ثيونغو ملحمة نسوية معاصرة، بأسلوب مشوّق وفكاهي، ليحيي أشهر الأساطير الشعبية في كينيا.

حوار

محمد الشركَي: أمارس الحفر البطيء ولا أحفَل بالكثرة

ينتمي الكاتب المغربي المعروف محمد الشركَي (مواليد 1958 ـ فاس) إلى النُّدرة. تلك الندرة التي لها غزارتها الداخلية، على حدّ وصفه. أصدر كُتُبًا قليلة قياسًا مع عمره الأدبي. غير أنّ كتابه السردي «العشاء السفلي» الصادر في الثمانينيات عن «دار توبقال» أصبح علامةً أساسيّة في الأدب المغربي الحديث. لم يعد يُذكر اسم محمد الشركي في الحياة الثقافية العربية إلّا مقرونًا بعشائه. فضلاً عن أعماله السردية والشعرية، ترجم محمد الشركَي أعمالاً أدبية مهمّة لإدمون عمران المالح وعبد اللطيف اللعبي والطاهر بنجلون وجاكلين داوود وجورج أوفيد وغيرهم. يقاطع محمد الشركَي التلفزيون، فلم يشارك في أيّ برنامج إعلامي. بل إنه لا يشاهد التلفزيون أصلاً. لا يحضر التظاهرات الثقافية إلّا لماماً. وإذا كانت كلمة العزلة معطفًا لكاتب مغربي ما، فهي معطف الشركَي بامتياز. تلك العزلة التي أكّد اللورد بايرون أنها ليست بالضرورة هروبًا من الناس. ووصفها إرنست همنغواي بـ «وطن الأرواح المتعَبة». بل إن الشركَي نفسه يسميها «العزلة الفرحانة». ويبدو أنه لجأ إليها باكرًا إيمانًا منه بمقولة دوستويفسكي: «العزلة زاوية صغيرة يقف فيها المرءُ أمام عقله». اختار الشركَي تلك الزاوية ليقف أيضًا أمام أحلامه ويهيم في السراديب والمغارات، كي يعود إلينا بنصوص أدبيّة عميقة، كُتبت بلغة أخّاذة وبمسحة روحيّة مُشعّة. في مناسبة صدور كتابه «نورُها في الأعماق» عن «دار خطوط وظلال» حديثًا، نفتح في «الأخبار» ممرًّا شاسعًا باتجاه عوالم الكاتب والمترجم المغربي محمد الشركَي. والكتاب هو الطبعة العربية لثلاثة أعمال صدرت للشركَي: «العشاء السفلي»، «كهف سهوار ودمها»، «السراديب». يدور هذا الحوار عن عزلة الكاتب وندرة إصداراته، وخياراته في الترجمة، وعن هوسه بالمغارات، إلى الحدّ الذي ذهب فيه عند مسؤولي إحدى المدن المغربية من أجل استئجار مغارة. كما يشير الشركَي للمرة الأولى إلى عمله الجديد الذي يشتغل عليه منذ سنوات: رواية «الزفاف الباطنيّ». اللافت أيضًا أن الشركَي ظلّ يعتذر عن عدم إجراء الحوارات معه باستمرار، وبهذا تكون «الأخبار» هي ثاني جهة عربية تجري معه حوارًا بعد لقاء سابق وقديم مع «اليوم السابع» التي كانت تصدر من باريس

تقديم وحوار **عبد الرحيم الخصار**

■ ابن سيرين كان يقول «العزلة عبادة». في حالتك، يمكن القول «العزلة كتابة»، أو تفكير في الكتابة. أنت تسميها «العزلة الفرحانة». لماذا لا يجدك الناس حيث يوجد عادة معظم أهل الكتابة؟ ولماذا يبدو نادراً جداً حضورك في الملتقيات الثقافية؟ الوصول إلى محمد الشركَي في المغرب يكاد يكون مهمة صعبة للغاية. هل عزلتك اختيار أم أن سياقات ما هي التي فرضتها؟

ـ إذا كنتُ غالباً ما أشير إلى «العزلة الفرحانة»، فلأنني أعيشُها ليس كوحدة وتوحُّد وانقطاع، بل كلقاء ووصل واتّصال. إذا كان علم الفيزياء قد برهن على أن الفراغ نفسَه ليس فارغاً، وأنه لا وجود لفراغ مطلق، بل ثمة باستمرار، داخل ما يُعتبر فراغاً، طاقة سرّية تظل فاعلةً على نحو غير مسموع، أقول إذا كان الأمر على هذا النحو في العلوم الدقيقة، فكيف لا تكون العزلة الوجودية ماهولة بـ«حضورات» تجعلنا، مهما كنا فرادى ومنقطعين عن العالم، في ارتباط حاشد بالوجوه والأصوات والأرواح المضيئة التي تلحق بنا حيثما كنا. هذا الإحساس بما يتجمهر في العزلة من أُنس عالٍ، هو ما حبّبها إليّ منذ طفولتي، حين كنت أشعر، وأنا في غمرة اللعب مع أقراني، بنداء غامض يغريني بالخروج من الجوقة الصاخبة، فأنتحي مكاناً بعيداً أجلس فيه وأراقب بقية اللعبة بنشوة أقوى مما كنت أحسّ به وأنا منخرط فيها. إن نفس هذا النداء الفاتن، الآتي من أقاليم العزلة الممتحنة (بكسر الحاء وفتحها معاً)، هو ما جعلني أغادر باكراً المواقع الاعتيادية للمثقفين من ندوات وملتقيات شاء سياقها المرحليّ المطبوع بالتجاذبات الإيديولوجية والتناحرات الأكاديمية أن ينقرني منها تدريجاً، فأويتُ إلى الظلّ البعيد عن أضواء الظهور، إلى أن جاءت مواقع التواصل التي وفرت إمكانات الحضور والتفاعل مع سلالات الضوء في كل جغرافيات الشتات، مثلما وفرت إمكانات البقاء داخل مناسك الغياب الحامي من زحف الغوغائيات على هذه المواقع نفسها.

■ أيضاً لم يسبق أن ظهر محمد الشركَي في أيّ من القنوات التلفزيونية لا داخل المغرب ولا خارجه. هل يرجع ذلك إلى موقف مسبق من الإعلام؟

ـ خوطبت مراراً، داخل المغرب، في شأن استضافتي في برامج حوارية تلفزيونية، وكنت في كلّ مرة أعتذر للأسماء الإعلامية العزيزة التي خاطبتني في الأمر، مستنداً في اعتذاري إلى موقف ثقافيّ بنيوي من القنوات التلفزيونية العمومية التي لم تمنح خرائطُها البرامجيةُ المتعاقبة ملفَّ الثقافة سوى فضلات زمنيّة مخجلة مقابل إغداقها اللامحدود على الرياضة والترفيه ليس بمعناهما الرفيع، بل في منحاهما الإلهائي والتغييبي. هذا الموقف الثقافي من التلفزيون هو الذي انتهى بي أيضاً إلى إبعاده كلّياً من قائمة الوسائل الإعلامية التي كنت أتابعها.

ولحسن الحظ، مع اختراق العولمة كل الحدود، والتطور المذهل والمتسارع لتكنولوجيا الاتّصال بروافعها ومحركاتها العملاقة، انهارت الأسوار الاحتجازية القروسطية التي بنتها عقود من الاستفراد الرسمي بالفضاءات السمعية البصرية، وتدفقت علينا، وسط الصحارى العربية، أرقى البرامج الإخبارية والذخائر السينمائية والموسيقية والوثائقية المنتسبة لمختلف الجغرافيات الكونية.

■ أصدرتَ كتباً قليلة، هذا ما قد ينتبه إليه المهتمّون بالإحصاء في حقل الأدب، لكن العبرة ليست في العدد، والتاريخ يعطينا دائماً أمثلة مذهلة في هذا الباب. لكن دعني أسألك عن سرّ هذه النُّدرة.

ـ لكلّ مسار إبداعيّ أو فكريّ أو فنّيّ إيقاعه الداخليّ الخاص، الذي هو تمظهر إقامته في الزمن الوجوديّ والواقعيّ والتاريخيّ والرمزيّ. وبعبارة أخرى، إن الكتابة هي التمظهر الإشاريّ لإقامتنا في العالم بشقّيه، الظاهر والغابر. وأحسب أن إقامتي الشخصيّة، سواء هنا والآن أو في أراضي الذاكرة، هي إقامة أركيولوجية سِمتُها الحفر البطيء جداً في جيولوجيا الروح وجينالوجيا اللغة والعالم. لا أكتب على مسار أفقيّ، بل داخل عطش عموديّ لا يحفل بالهاجس التراكميّ، ولذلك أنتسب عن طيب خاطر إلى ما أسميتُه أيها العزيز بالنُّدرة، وهي على كلّ حال ندرة لها، في ما أعتقد، غزارتها الداخلية التي تتطلّب قارئاً متورّطاً ومتعاقداً مع القراءة كاستكشاف لطبقات المعنى، وهو، كما تعلم، ذلك القارئ الشريك وتلك القارئة الشريكة في إنتاج المعنى.

■ يضمّ كتابك الجديد الصادر عن «دار خطوط وظلال» في الأردن أعمالك الأدبية الثلاثة السابقة. وهي فرصة للاقتراب من جديد من تجربتك الأدبية. أسألك هنا عن القارئ. كيف ينظر محمد الشركَي إلى قارئه؟ وماذا يتوقّع منه؟

ـ اسمح في البداية أيها العزيز أن أتوجّه بعميق الشكر لدار «خطوط وظلال» التي رحّبت بإصدار «نورها في الأعماق»، الذي هو الطبعة العربية لكتابي «الأغوار» الذي كان قد صدر في المغرب قبل تسع سنوات. وقد غيّرتُ عنوانه لكي لا يلتبس الأمر على القارئ العربي عموماً، فيعتقد أن له صلة موضوعاتية بمنطقة الأغوار الممتدّة بين الأردن وفلسطين. وبخصوص سؤالك عن رؤيتي للقارئ، أشير إلى أن هذا الأخير يكون، عند الكتابة، غائباً عن أفقي، وأكون في حالة عزلة بدائية. غير أنني، دون تخطيط مني، التقيت والتقى عدداً من القارئات والقرّاء من داخل هذه العزلة القائمة على غيابهم. إن فكرة القارئ تنبجس بعد الانتهاء من النص، وعندئذ فقط أفكّر في القارئات والقراء المحتملين لما كتبتُ. لكنني أفكر مثلما يفعل من يضع رسالة داخل قارورة ويلقي بها في البحر، متسائلاً عمّن سيلتقطون الرسالة العزلاء عند سواحلهم. وما أتوقعه من القارئ هو أن يكون شريكاً في إنتاج الدلالات من خلال مرجعياته القرائية وتاريخه الشخصي، أي أن يكون قارئاً دينامياً ومشّاء مرتحلاً ومنقّباً بين أحراش المعنى عن الكنوز التي تنتظره في منعرجات الصفحات، دون أن يكون الكاتب هو من وضعها بوعي منه.

■ من يقرأ أعمالك، سيجد نفسه أمام تيمة كبيرة تتردّد في مختلف النصوص. هناك حضور صارخ للمغارات ومشتقاتها اللغوية والدلالية. يكفي مثلاً الوقوف عند عناوين كتبك: «السراديب»، «كهف سهوار ودمها»، والكتاب الذي يضم ثلاثة أعمال «الأغوار». هل المغارة هي المعادل الموضوعيّ للعمق أم هي شكل آخر للعزلة والرغبة الدائمة في جعل المسافة بينك وبين العالم شاسعة؟ لماذا التركيز على هذه الموضوعة؟

ـ لأنها عميقة جدّاً ومظلمة وبمثابة أحشاء كونيّة، تنتسب المغارات إلى ما أسماه جَبلبير دوران في كتابه «البنيات الأنثروبولوجية للمخيال» النظام الليليّ للمخيال، وهو نظام تتبلور فيه كلُّ الرموز الحميميّة الكبيرة كالأرحام والزوايا والمنامات والأركان المكتنفة بالغموض. لقد اجتذبتني منذ طفولتي الأنفاق والسراديب التي كنت أحسّ بها دائماً هامسةً بأصوات خفيضة ملتاعة، ونداءات فاتنة، ونادراً ما أحسست بها موحيةً بتهديدات ما. ولذلك أدركت لاحقاً لماذا توجد في تضاعيف الهواء أصواتٌ سرّية لا نسمعها بينما هي تثير جنون الكلاب. وكنتُ أشعر في البوادي بافتتان مقدّس على حافّات الآبار والتجاويف ولذلك، عندما شاء لي قدري الشخصيّ أن ألتحق بالعمل في مدينة تازة المغربية، لم أكن أعلم ما أنطوي عليه ذلك الالتحاق الوظيفيّ من هدايا عظيمة إلّا عندما زرت مغارة «فريواطو» الكبرى الواقعة على خاصرة جبال الأطلس المتوسط جنوب المدينة، وهي بالمناسبة واحدة من المغارات الخمس الأكثر عمقاً في العالم.

كان اللقاء في تلك المغارة من عيار اللقاءات الغرامية والشعائرية التي تغمر القلب بالنور وتسربل الفكر بحنين سحيق. وكلّما عاودت النزول فيها، كنت أقول لنفسي، وأنا أتوغل في أحشائها الغرائبية المعتمة، بين الحزاز الصخريّ والرطوبة المترعة بالرائحة البدائيّة للتجاويف: إذا كانت للروح تضاريس، فهذه الأفاريز والأنفاق والصواعد والنوازل والبرك المائية السفلى هي تضاريسها. منذئذ صارت تلك المغارات موئلاً روحانياً، وامتحاناً فكرياً وأسطورياً ولغوياً لا ينفك يسائل دواخلي ويسندها، ومرتكزاً وجدانيّاً أفيءُ إليه في هواجر الواقع وانكفاءات تاريخنا العصيب. صارت تلك المغارة، كما كان سيحلو لدولوز أن يقول لو رآها، صيرورة عشقيّة un devenir amoureux وخليلة رمزيّةً كبرى تحمي وتُعلّم وتُحرر من ربقة السطوح.

> كتابه الجديد «نورُها في الأعماق» هو الطبعة العربية لأعماله الثلاثة: «العشاء السفلي» و«كهف سهوار ودمها» و«السراديب»

■ ترجمتَ أعمالاً روائية لكلّ من الطاهر بنجلون وعبد اللطيف اللعبي وإدمون عمران المالح، وكانت هذه الترجمات لافتة. لماذا ترجمتَ الرواية ولم تترجم الشعر؟ أقول هذا وأنا أعرف خبرتك الكبيرة في الشعر المكتوب باللغة الفرنسية، وأعرف قدرتك على نقله إلينا بعربية أخّاذة. هل يرجع الأمر إلى أسباب موضوعية خارجة عن رغبتك؟

ـ أيها العزيز، لم أعتبر نفسي أبداً مترجماً محترفاً، حتى عندما كانت الترجمة الأدبية (إلى جانب الكتابة في الصحافة الثقافية) شغلي الوحيد بعد رفضي البقاء في سلك التعليم إثر إنهائي لما كان معروفاً بالخدمة المدنية. صحيح أن أغلب ترجماتي انصبّت على روايات مغربية مكتوبة بالفرنسية سواء للأسماء التي وردت في سؤالك أو لأسماء أخرى، مثلما انصبّت بعض تلك الترجمات على أعمال في التحليل التاريخي مثل كتاب «عبد الكريم، ملحمة الذّهب والدم» لزكية داود، لكنني ترجمت ونشرت في الصحافة المغربية العديد من المختارات الشعرية لمبدعين كانوا يستهوونني من قبيل عزرا باوند ونوفاليس ونرفال وعبد الوهاب المؤدب وغيرهم، مثلما ترجمت قصيدتين طويلتين للشاعر المغربي محمد الواكرة نشرت إحداهما في مجلة «آفاق» المغربية، والثانية نشرت مرفقة بالأصل في كتاب فنيّ مستقل صدر عن منشورات «مرسم». إلى ذلك، أذكر أن الشاعر أدونيس، الذي أعجبته ترجمتي لمقطع من قصيدة «نسيم بحريّ» لمالارمي، كنت أدرجته كديباجة لنصّ شعريّ لي بعثته إلى الصديقة خالدة سعيد، أقول إن أدونيس كتب لي، في رسالة مشتركة مع خالدة، يقول لي، وأنا يومئذ في تازة: «ترجمتك لمقطع مالارمي حفظت له بهاءه. ليتك تقدم مالارمي إلى قراء العربية. صعب؟ لكن يبدو أنك تذلّل الصعب». غير أن توزّعي آنئذ بين العمل بدوام كامل والكتابة والترجمة السردية لم يترك لي فجوة زمنية لتقديم ترجمة عربية لأحد أعمال مالارمي الشعرية الشاهقة. لقد ساهمت الترجمة، على نحو عميق، في إعدادي الذاتي ككاتب من جهة إلهابها وتسعيرها العلاقة بجذور اللغة ورنين الحروف. وكم كان محقاً أستاذي المبارك، الراحل الحاضر، عبد الكبير الخطيبي حين قال لي ذات زيارة شرفني بها في مقر عملي السابق في وزارة الثقافة، في سياق حديثنا عن الكتابة والترجمة، إن هذه الأخيرة عمل جسيم لا يقلّ مجازفة وخطورة وخصوبة عن الإبداع.

محمد الشركَي: لقد ساهمت الترجمة، على نحو عميق، في إعدادي الذاتي ككاتب

■ «العشاء السفلي» هي روايتك الوحيدة. هذا إذا تعاقدنا على تسميتها رواية. وهنا أتذكر أحد النقاد الذي احتار في تصنيفها فسماها «نزهة إبداعية». هذه الرواية حظيت باهتمام كبير. إنها علامة فارقة في تاريخ السرد في المغرب. هذا إجماع النّقاد والقرّاء. فقد صار اسمك مقروناً بها. ما الذي جعل «العشاء السفلي»، في نظرك، تحظى بهذا الاهتمام اللافت؟

ـ لعلها مصداقية حمولتها الرمزية والوجدانية. لعلها مشبوبية النداء الطالع منها والمضفور بحنين موجع إلى ما يسهر علينا في الأعماق. لعله أيضاً انزياحها عن أفق السرد الروائي وانتصارها للكتابة المؤسطرة والمتخطية للتجنيس. ولعله أخيراً التقاط القراء والنقاد لرهانها المجازف على حافة فراق عظيم. فبعد مغادرتي لمدينة تازة عقب إنهائي لسنتي الخدمة المدنية، وهما السنتان اللتان كانتا ربّانيتيْن على مستوى العلائق الروحانية سواء بالمغارات أو ببعض الوجوه الغالية هناك، عدت إلى فاس مُهتضراً بشعور اقتلاع أليم لفراقي ذلك الموضع المبارك وتضاريسه التلقينية. وفي عمق ذلك التمزّق الأنطولوجي، شرعت في كتابة «العشاء السفلي» خلال سهرات طويلة في ليالي فاس، مستضيئاً بما اختزنته دواخلي أثناء الإقامة المغاربية، فكان أن انبعثت ميزار من أجراف الغياب وعادت لتدعو فتاها الذي أرضعته وربّته صغيراً، والذي أسمته، قُبيْل رحيلها، «مغران» تبرُّكاً بروح المغارات، لزيارتها في دارها الكبيرة بقصبة النوار في فاس، حيث ستقضي معه آخر ليلة في عمرها الزاخر بالأعمار، وحيث سيسافر رمزياً إلى ما وراء عشائها الغرامي الأخير، وحيث أخيراً ستوصيه قبل موتها بالالتحاق بما يشملها وبتعدّاها. كنت أكتب ضمن يقين مجنون، ما زال ملازمي، بأنه لا شيء يضيع سواء في التاريخ الشخصيّ والعامّ أو في الجغرافيات التي نحملها معنا كخرائط منقوشة على جدران أرواحنا. وكما لو تعلّق الأمر بتقاطع رمزي مع إحدى الذاكرات المترفة، شاءت الصدفة (لكن ما هي الصدفة عدا كونها، كما عرفها إنجلز، الشكل الذي تتمظهر به الضرورة) أن أكتب الفصل الأخير لـ «العشاء» في مقهى الناعورة في فاس، بين شُفاعة الخطاطيف الجذلى في سمائه وصرامة الأسوار الألوفية المشرفة على حديقته، وهو نفس المقهى الطقوسيّ الذي كانت الكاتبة الفخمة مارغريت يورسنار مولعة بالجلوس فيه كلّما زارت مدينة الأبواب السبعة. كما أنه نفس المقهى الذي قصدناه وجلسنا فيه طويلاً بعد ذلك بسنوات أنا والشاعر الأشوري الباذخ سركون بولص الذي خلّد جلستنا تلك في قصيدته «فاس ذات الأسوار». لا شيء يضيع أيها العزيز. وإذا كان نصّ «العشاء السفلي» قد وصل وما ينفك يصل إلى أهله، فلأن «الأغنية ليست وهماً» كما كتبت في مقدمة كتابي «الأغوار».

■ أعرف أنك تشتغل منذ فترة طويلة على رواية أخرى. هل هي امتداد لروح «العشاء السفليّ» وعوالمها وأغوارها، أم ثمة منعرج ما؟ ولماذا هذا الوقت الطويل للوصول إلى رواية أخرى؟

ـ أشتغل فعلاً، منذ سنوات طويلة، على نص سرديّ بعنوان «الزفاف الباطنيّ»، لكن وتيرة عملي عليه بطيئة جداً ومتقطعة، كما لو أنني أختبر بيني وبين نفسي ضرورته الكتابية. لقد أشرت قبل قليل، في سياق جوابي عن مسألة النُّدرة، إلى أن مقاربتي للكتابة هي مقاربة أركيولوجية سمتها الحفر البطيء في جيولوجيا الروح وجينالوجيا اللغة والعالم. هذا المشروع الرمزيّ لطول فترة الكتابة واستغراقي زمناً مديداً جداً قبل بلورة مشروع كتابيّ جديد. لا أحفل بالتراكم وبالكثرة، بل يشدّني الاستبطان وغور النفاذ إلى ما يخاطبني ويسائلني في الدواخل. لذلك أكتب كما لو كنت أنقش رسالة طويلة على جدار كهف بعيد للتأشير على عبور عالٍ وغالٍ، تماماً على شاكلة الفراعنة الذين نقشوا على جدران مقبرة الملك سيتي الأول «كتاب البوابات» لمساعدة الفرعون على اجتياز أهوال واختبارات العالم السفليّ. وفي هذا المنحى، سيكون «الزفاف» امتداداً لروحانية «العشاء» وتجاوزاً له في الوقت نفسه من جهة تعالقه مع ذاكرة التاريخ وراهنية بعض السياقات المفصلية اللاهبة.

■ دفعك هوسك بالمغارات والكهوف إلى محاولة استئجار مغارة في مدينة تازة. ما الذي كنت تريد أن تفعله بها؟ هل يمكن أن تحدثنا عن هذه التجربة الفريدة؟

ـ كانت فكرة عظيمة لم يتأتَّ لها أن تتبلور. ولم أكن وحدي فيها. فخلال فترة إقامتي في تازة، أنسَ بعض أصدقائي الأصفياء هناك جمعية ثقافية حملت اسم «ألف ليلة وليلة»، وكانت علاقتي بها استشارية. وبتاطير منها، نظّمنا في نهاية الثمانينيات ندوة وطنية تمحورت حول «الكتابة والفضاء الأنثويّ»، وهي الندوة التي اقترحت على أصدقائي أن يكون النزول إلى المغارة من ضمن أشغالها وليس على هامشها. وكذلك كان، وواجه المشاركون والمشاركات ذات صباح تجربة الهبوط الشعائريّ في الأعماق قبل استئناف الندوة في المساء.

كانت تجربة حدودية ظلّت محفورة في ذاكراتنا جميعاً. وبعد ذلك اختمرت في روحي فكرة تحويل المغارة، بشراكة مع السلطات المنتخبة، إلى موقع ثقافيّ مخصص لتنظيم زيارات جيوبويطيقية géopoétique لمختلف الأسماء الإبداعية من داخل المغرب وخارجه من شأنها أن تثمر نصوصاً من داخل تجربة النزول ومواجهة ذلك العمق. وتحادثنا أنا والأصفياء في الأمر، وشرعوا فعلاً، من موقعهم في الجمعية، في استكشاف سبل استئجارها بدفتر تحملات من الجماعة القروية التي كانت تقع ضمن نفوذها. غير أن إنهائي لمدة الخدمة المدنية في تازة، وعودتي إلى فاس وانقطاعي بعض الوقت عن زيارة مدينة المغارات، كل ذلك جعل الفكرة تخبو تدريجياً إلى أن تراجعت كلياً بتفرّق السبل بأعضاء جمعية «ألف ليلة وليلة». ولذلك آل بي الأمر إلى حمل تلك المغارات بداخلي حيثما كنت، لتظلّ فيّ ساهرة في القلب مهما شط مزارها.

قصة قصيرة

الرّجل الذي فشل في سرقة البنك

جعفر يعقوب *

لم تساعده حواسه كثيراً حين رفع هاتفه الخلوي، إذ ما زال مخدّراً بنوم ما بعد الظهيرة، وقد كان متعباً بالفعل.

— نعم. نعم.

— هل تسمعني، يا سيّد هانز؟

— أظنني كذلك.

— نأسف سيّدي، لقد فارقت زوجتك الحياة.

— ماذا؟ هل تمزح معي، أيّها.. مقاطعاً: ونظراً للجائحة، لن تستطيع إلقاء نظرة الوداع على زوجتك، وستتولّى سلطة الكونفدرالية مباشرة دفن الفقيدة مع جميع الموتى. علماً أنّها ستوارى الثرى غداً صباحاً في التابوت رقم 1334 بمقبرة بلدية لوتسرن. أرجو ألا تنسى هذا، يا سيّد هانز.

— ولكن..

— كاد يظن ذلك كابوساً، لولا رسالة قصيرة دلفت إلى هاتفه الخلوي، لم يكلف نفسه عناء قراءتها كاملة، فكل ما غرس فيه نظره هو تابوت رقم 1334، فقط وفقط.

قَعَدَ متكوّراً ورأسه بين رجليه، وترك لدموعه العنان بأن تنزّ، وقد غرق في حزن عميق. كما لو كان طفلاً مصدوماً. مرّت عليه ساعة لم يز فيها سوى عتمة صبغت ما حوله. لم يكن يتوقّع أن يهاجمه كابوس الموت في شريكة حياته التي أخلصت له الودّ والحبّ، وساندته في أحلك الظروف. صحيح أنّه لم يكن مستقيماً كما كانت تتمنّى، لكنّه على كلّ حال كان زوجاً صالحاً ومحبّاً. هكذا كانت تقول عنه. وهذا بالضّبط ما جعلها تتغاضى عن المشاكل التي أوقع فيها نفسه. ومع هذا لم تتركه وحده حين زجّ به في السّجن لمحاولة سرقة بنك فاشلة.

ارتدى ملابسه، ولم يكن حريصاً على أن يبدو أنيقاً كالعادة. كانت الشّوارع الخاوية تتّشح بمعالم الجائحة التي غرست ندبة في كلّ جهة ورصيف. لكنّه لم يبالِ بلعنة هذا الوباء، ولم يكترث بالخوف الذي يذره في كلّ بيت، وهو يفكّر بمغامرة واحدة فقط يقوم بها من أجلها، وليحدث بعدها ما يحدث.

قطع ما يقارب أربعة كيلومترات مشياً على قدميه، حتّى انعطف على مبنى من أربعة طوابق. لا يبدو من لونه الباهت إلّا أنّه مسكن لذوي الدّخل المحدود، أو لمتشرّدين ابتسم لهم الحظ، فوجدوا لهم مأوى فيه.

نظر إلى السّلم، وإلى جداره الذي لطّخته الخربشات السّوداء، فاجتاحه غبن، وهو يكاد يصعد عتباته، لكنّه لم يُعِر ذلك اهتماماً، فهنا يقطن أصدقاء السّجن الذين قضى معهم سنوات ثلاث في الزنزانة رقم 77، وهنا سيجد السّاعد الذي يعينه على المغامرة المجنونة التي سيُقدم عليها.

وبصعوبة ارتقى عتبات السّلم، حتّى آخر الدور الثالث، وهو يزفر لهاثاً، ثم طرق بقوّة باب الشّقة 312. وللحق فقد أحدث ضجيجاً في المبنى الذي توارى فيه الجميع هلعاً من الكوفيد 19.

— حسناً، حسناً. لماذا كلّ هذا الإزعاج؟ ردّ أحدهم بنبرة متشنّجة. بعد هنيهة فتح الباب، أطلّ من شق الباب شاب شبه عار، وهو يرتدي قميصه الأرجواني.

— أنت؟ ما هذه الزيارة المفاجئة؟ ادخل، ادخل؟

كان هانز في حالة مزرية، وعيناه الحمراوان تشيان بكارثة ألمّت به. لذلك وعلى الفور ساله سليم الأريتري الأصل:

— ماذا حدث؟

— إيلينا توفيت، منذ ساعة ونصف ويحاول أن يتذكّر.

البنت الطويلة الرشيقة، ذات الغمّازة الضاحكة في ذقنها هي التي أوقعتني في هذه المصيدة...؟ لاحقها طويلاً، ووافقت بعد دلال كاد يُفقده صبره، وافقت على أن تلتقيه في منزل الغابة الكثيفة، منزل اختارته هي لأنّه بعيدٌ بعيد ورومنسيٌّ جميل. قالت: أترك لك الباب مفتوحاً. تدخل، وتجدني في انتظارك. دخل. وجدها في انتظاره في غرفة الاستقبال. وجهها مشرق بابتسامة مثل شمس الصباح. قالت: احلق لحيتك وشاربيك وتطيّب، واستحم في هذا الحمام، وأنا أستحمُّ في الحمام الثاني. ضع هاتفك وثيابك وحقيبتك على هذا المقعد. عندما تنتهي ادخل غرفة النوم هذه. واشرب عصيراً لذيذاً ومقوّياً أعددته لك، صرتَ كهلاً، ولا تزال متصابياً... أنهكك الطمع والولع ... وضحكت... ما أحلى ضحكتك! قلت لها. قالت: انتظرني... فرح. وتمتم لنفسه: تبدو خبيرة، وستُبسطني. فعل ما طلبته منه، وأفاق، وهو في هذه الحال... هرع يفتّش عن هاتفه وحقيبته وثيابه في غرفة الاستقبال. لم يجد شيئاً ممّا يبحث عنه. صار يضرب رأسه بكفّيه، وهو يتنقّل في الغرفة، ويقول: ضاع كلُّ شيء، وضعت أنا، وماذا أساوي أنا إذا ضاع ما ضاع: أسراري، صوري، دفاتر شيكاتي، عقودي؟

عاد إلى غرفة النوم، شعر بقرصات البرد. وقف قرب القبر، وهمَّ بأن ينزل إليه، ولم يفعل. صرخ: لا. لن أموت. يريدون أن أموت. لا. لن أموت، ولمن أترك الثروة إذا متُّ. وسأل نفسه: من يريدني أن أموت؟ وبدت أمامه صوره.. زوجته تصرخ به: أريد أن أسافر وأتسوّق، وأتمتّع بالثروة. أريد سيارة جديدة. فيلا جديدة في بلاد جديدة. ابنه يريد. ابنته تريد، وابنته الأخرى تريد... جميعهم يصرخون: نريد، نريد، لمن تجمع الأموال؟ هو لا يبخل عليهم، لكن ماذا يقول الناس عندما يرون هذا التبذير؟ هو ينكر أنّه من الطبقة الفاسدة التي أوصلت البلد إلى هذا الانهيار، والتي يطالبها الفقراء بردّ أموالهم. هذه أمواله هو، والفقراء من أين لهم الأموال؟

هم، زوجته وأولاده والصارخون في الساحات، يريدون... هل هم الذين قادوه إلى هذه المصيدة، ليستولوا على الثروة التي عمل وعمل من أجل جمعها؟ لا يريد أن يتذكّر ما عمل، وهو عارٍ أمام هذا القبر، وفُتحت هوّةٌ في صدره أوسع وأعمق من هذا القبر الضّيّق، وتمتم: ثروتي، ولم يدر ما يقول بعد ذلك. وعادت الصُّور. صور شركائه وزملائه، جميعهم كانوا يحسدونه، ويتمنّون له الضياع، هل هم من دبّر له هذه المصيدة، وأوقعه فيها؟ كان «أشطر» منهم في عقد الصفقات، و«أخْذ» التعهدات، ودفع الرشوات، وتدبيج الشيكات، و«صيد البنات الحلوات»... آه ما أحلى الصيدات، في كلّ المجالات! قال لنفسه: ما هذا الشعر المقفّى؟ هل صرتَ شاعراً، وأنتَ في هذه الحال؟ وما حاجتك للشعر، وكأن كثير ممّن كنت تسمّيهم الأيواق يقفون على بابك، ويشيدون بجنابك، ويعلون من أعتابك، وتعطيهم رزقهم المعلوم من نثر أموالك، ماذا يقولون، الآن، إذا علموا بحالك؟

قفز ، وصرخ: لا ... لا... لن أستكين كالمسكين ... كنّا نسخر منهم أولئك المساكين الساكتين المستكينين الصابرين الذين نفعل بهم ما نفعل، ولا يغيّرون ولاءهم لنا، هل هم أوفياء أو أغبياء أو أذلّاء، لا أدري، ولمَ يمحضوننا الولاء، ونحن الأشقياء؟ عدت إلى الشعر، وأنت أمام القبر... ما كنت أعرف أنّ لديَّ هذه الموهبة، لا، تذكّرت، وأنا فتى كنت أكتب على دفتري ما صرت في ما بعد أسخر منه. كنت ناقماً على الطبقة الحاكمة، وأسمّيها الفاسدة، وها هم يسمُّوننا، الآن، الطبقة الفاسدة، ويصرخون، ويتظاهرون، ولكن لا يفعلون. هم مِنَ الذين يقولون ولا يفعلون، كما يقول المشايخ في مواعظهم. المشايخ؟ هل أنا بحاجة لشيخ، الآن، وأنا أمام هذا القبر، ليعلّمني ماذا أقول لنكير وأنكر؟ لهما اسم آخر. نسيته. لا يهمُّ الاسم. المهمُّ الفعل. ماذا سيفعلان بي؟ وهل يصدّق هذان النكيران ما سيحفّظني إيّاه الشيخ الذي كنت أتبرّع لمشاريعه أحياناً، وأقصد أن أسكته؟ وما يهمُّني وأنا «أنْكَرُ» منهما؟ سمّاني الناس المربّع السمين، وأنا من دانت الدنيا له، والآخرة لا تعنيه..لا. كانت لا تعنيه، وهي الآن أمامه، كيف أفرُّ منها؟ أنا.. أنا... هل نسيت من أنا؟

قفز كالهِرّ الذي رأى فأراً سميناً يتثاقل في مشيته. ومشى بخطواتٍ سريعة.

جال في البيت. الأبواب حديديّة مقفلة. النوافذ حديديّة مقفلة. البيت بدأ يُظلم. البرد يشتدُّ. معدته تقرصها لسعات البرد. لم يعد يحتمل. هرع إلى غرفة النوم. لفّ جسمه بالفراش الرقيق. ونزل إلى القبر. ولم يتمدّد. كوّم نفسه في زاوية، وقال في نفسه: من يأتي أوّلاً «النكيران»، أو من وضعني في هذه المصيدة؟ من اصطادني لا بدّ من أن يأتي... إنّه يريد منّي شيئاً، وسيأتي ليأخذه، وما عليَّ إلّا أن أنتظره، وأفعل مثلما يفعل أولئك المساكين المستكينين...

المهمُّ ألّا أبقى في هذا القبر عارياً، ويستفرد بي النكيران. وانتصبت أمامه كآبة فاتحة شدقها، وصوّتت، صوتها غريب منكر، يخرق الصمت، ويسأله: كيف يبقى الناس في القبر، يا مربّع، يا سمين؟ أجاب، من دون أن يدري: وهل أنا من الناس؟

قال الصوت: دائماً كنت تنهبهم، وتنفر منهم. قهقهت الكلابة، واختفت، وتمتم هو: ليأت من يأتي... المهمُّ أن يأتي، وصفع جبهته بكفّه بكلّ ما بقي لديه من قوّة، وقال بصوتٍ عالٍ: آه، نسيت الدولة والقانون... ليتهما يأتيان، ليتهما يأتيان، ولكن هل يأتيان في هذا الزمان؟

* من مجموعة قصص قصيرة بعنوان «جذور فوق التُّراب» ستصدر قريباً

** لبنان

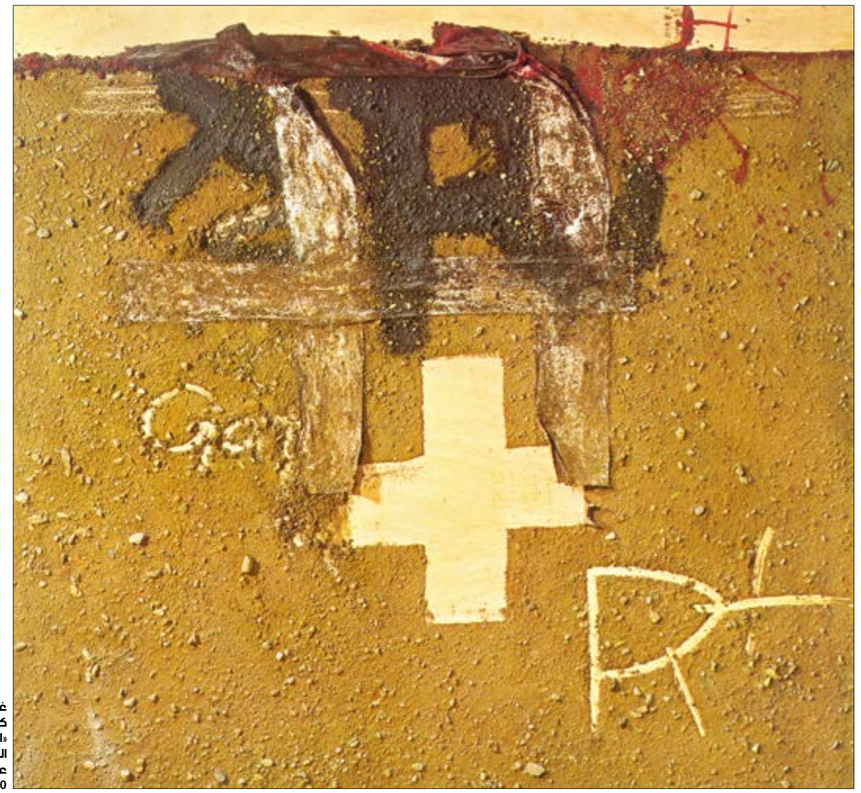

غوستاف كايبون ـ «الرجل في الشرفة» (زيت على قماش، 1880)

المصيدة *

عبد المجيد زراقط **

وجد الرجل المربَّع السمين نفسه عارياً في غرفةٍ واسعةٍ عاريةِ الجدران. عندما أفاق، وجد نفسه يرقد على فراشٍ رقيقٍ مبسوطٍ على الأرض، من دونَ غطاء، وليس من مخدّة تحت رأسه.

رقبته تؤلمه. لواها مرّاتٍ، ذات اليمين والشّمال، وبقيت تؤلمه. هل كان نائماً أو مخدّراً؟ لا يدري. كلُّ مايعرفه أنّه، الآن، يرقد في غرفةٍ يأتيها ضوء الشمس من نافذةٍ صغيرة تقع في أعلى الجدار السميك المواجه له. جلس. تلفّت في كلّ نَاحٍ. فرك عينيه. لا شيء في الغرفة سوىَ لوح خشبيٍّ مستطيل يقع أمام فِراشه. نهض. خطا نحوه. رفعه. اتّسعت عيناه وفُتحتا أنفه وشدقه الكبير، ولهث: لا... قبر! وصاح: عارٍ أمام قبر؟ لمَ، يا ناس؟ من فعل بي هذا؟ وسكت ولم يقل: وأنا من كان يفعل ويفعل يُفعل بي هذا؟!

جلس يعصر رأسه بين كفَّيه، ويحاول أن يتذكّر.

البنت الطويلة الرشيقة، ذات الغمّازة الضاحكة في ذقنها هي التي أوقعتني في هذه المصيدة...؟ لاحقها طويلاً، ووافقت بعد دلال كاد يُفقده صبره، وافقت على أن تلتقيه في منزل الغابة الكثيفة، منزل اختارته هي لأنّه بعيدٌ بعيد ورومنسيٌّ جميل. قالت: أترك لك الباب مفتوحاً. تدخل، وتجدني في انتظارك. دخل. وجدها في انتظاره في غرفة الاستقبال. وجهها مشرق بابتسامة مثل شمس الصباح. قالت: احلق لحيتك وشاربيك وتطيّب، واستحم في هذا الحمام، وأنا أستحمُّ في الحمام الثاني. ضع هاتفك وثيابك وحقيبتك على هذا المقعد. عندما تنتهي ادخل غرفة النوم هذه. واشرب عصيراً لذيذاً ومقوّياً أعددته لك، صرتَ كهلاً، ولا تزال متصابياً... أنهكك الطمع والولع ... وضحكت... ما أحلى ضحكتك! قلت لها. قالت: انتظرني... فرح. وتمتم لنفسه: تبدو خبيرة، وستُبسطني. فعل ما طلبته

نصان

أمازيغيات

زغلامي بثينة *

1. دار جدي على الحدود التونسية الجزائرية. في مثل هذا الوقت تكون البيوت دافئة جداً، إذ لا تنطفئ النار من الدار في الفصول الأربعة، ومن الفجر حتى آخر الليل. تكون جدتي عادة تُسَبِّح أو تتذكّر أبناءها البعيدين. وتمشّط شعرها الأحمر الطويل.

لا أحد يتذكر أن جدتي أو خالاتي قصصن شعورهن إلّا أثناء موت أقرباء؛ فهن يقطعن ذؤابات فقط، لأنهن، كما تقول جدتي، سَيَسْتَضِفْنَ بضفائرهن الطويلة في العالم الآخر.

في دار جدي دائماً سلحفاة قرب الباب، ودائماً هناك قطط تنام دافئة وتَتَشَمَّم، في دعة وخيال، الروائح المنبعثة من الحطب.

تقريباً. أظنّ هذا.

نظر إليه سليم بصمت، ثم اندفع نحوه، ضمّه بين ذراعيه. كان تأثره الشديد واضحاً، فهو يعرف مدى قوة العلاقة التي تربطهما، لكنه بارتباك سأل:

— وماذا ستفعل؟ لن يسمح لك هؤلاء الأوغاد حتّى بنظرة وداع. هذا مؤلم حقّاً.

هزّ هانز رأسه مؤيّداً، وصرخ:

— سأفعل. لن أدعهم يدفنونها كالحيوانات النافقة. سيكون لها قبر محترم كبقية الأموات، أليس للموتى احترام يليق بهم؟ سيكون لإيلينا ضريح قدّيسة.

ردّ سليم باستغراب:

— هل طار عقلك؟ مؤكّد هذا، فأنت تعرّض نفسك للهلاك.

— وهل بقي معنى للحياة بعد إيلينا؟ يمكّننا خطف التابوت. أعرف رقمه. هو التابوت رقم 1334، لقد أخبروني بهذا. ستكون جميع التّوابيت بمقبرة لوتسرن، وسَتُؤَاذّ جميع التوابيت في مدافن جماعية في الضباح.

— كفاك حماقة، هانز.

— لقد قطعت كل هذه المسافة؛ لتكون ساعدي. لا أعرف أحداً يستطيع فعل ذلك غيرك.

— اللّعنة هانز، أيّها المعتوه، أنت تمسكني من اليد التي توجعني، تبّاً لك.

صمت سليم للحظات، ثمّ أردف:

— حسناً، سأستعير سيارة صديقي، وسنرى كيف نفعلها.

في المساء كانت المقبرة موحشة، وغارقة في الصّمت. لا أحد في المكان سوى حارس الموتى الذي يمكث في غرفة الحراسة، ولا يخرج منها إلّا حين تصل سيّارة الموتى، غالباً قبل منتصف اللّيل بساعة أو أقل، وبعد دقيقة كان الحانوتي العجوز بانتظار الجثّة المسروقة في مقبرة بريمغارتن، وقد حفر قبراً خاصاً؛ لترقد فيه إيلينا مع الموتى المحترمين.

شعر هانز، وهو يضع إكليلاً من زهرة اللّوتس على القبر بأنّ إيلينا ابتسمت له، وها هو يعدها بزيارة ثانية.

لكنّ هانز لم يعد نهائيّاً، بعد أن تغوّلت الكورونا بغوغائيّة مفرطة.

* المنامة/ البحرين

مضت ساعة ونصف، تمكّن خلالها ثلاثة عمال من تفريغ الشاحنة من التّوابيت، ثمّ انطلقت بسرعة مجنونة. لم يمض وقت حتى أطفأ حارس المقبرة مصباح غرفته التي تحاذي مدخل المقبرة، بعد أن أوصد بوابة المقبرة.

— هيّا، ليس لدينا وقت نضيّعه، فالحانوتي بانتظارنا، بعد ثلاث ساعات في مقبرة بريمغارتن.

وبسرعة تسلّقا سور المقبرة.

— احرص على ألّا تُحدث صوتاً يوقظ هذا الغبي في غرفته، قال سليم بصوت خفيض.

— حسناً، أنا سأبحث عن التابوت من هذه الجهة، وأنت خذ الجهة اليسرى.

— نعم، هانز.

لم تمضِ سوى ساعة أو أقلّ من ذلك، حتّى عثر سليم على التابوت رقم 1334، لكن في ذات الوقت سمعا صوت حارس المقبرة، وهو يصرخ:

— هل يوجد أحد هنا؟

ثمّ أخذ يتمتم لنفسه: لا شيء هنا إلّا الموتى وهذه التّوابيت اللّعينة، ماذا يفعل وغد بتوابيت يعشعش فيها الوباء؟ عليكم اللّعنة، لن أبالي لو التحققتم بهم أيضاً.

ثمّ كرّ عائداً لغرفته. كان هانز وسليم قد اختبأ وراء شجرة الزان النحاسيّة، ريثما يتوارى الحارس عن عيونهما. وبسرعة حملا التّابوت، وأخرجاه من فوق سور المقبرة، واندفعت بهما سيارة يوكن، وقد بدا هانز أكثر هدوءاً، وهو يغبط نفسه لنجاحه في سرقته الثانية.

— يبدو أن سرقة جثّة أسهل بكثير من سرقة بنك! أليس هذا صحيحاً يا هانز؟

ابتسم هانز دون أن ينبس ببنت شفة.

في السّاعة الثّالثة وأربع وثلاثين دقيقة كان الحانوتي العجوز بانتظار الجثّة المسروقة في مقبرة بريمغارتن، وقد حفر قبراً خاصاً؛ لترقد فيه إيلينا مع الموتى المحترمين.

شعر هانز، وهو يضع إكليلاً من زهرة اللّوتس على القبر بأنّ إيلينا ابتسمت له، وها هو يعدها بزيارة ثانية.

لكنّ هانز لم يعد نهائيّاً، بعد أن تغوّلت الكورونا بغوغائيّة مفرطة.

* المنامة/ البحرين

نوزد شيخاني ـ «امازيغية» (فوتوغرافيا، 2018)

2. كل صباح من شهر ديسمبر، أو كما نسميه دجمبر، وهو من أشهر الحب والدفء والماشية التي تنام هانئة وراء بيت القبو، تتصاعد روائح الخبز المخلوط بالزبيب والإكليل، لتغير نكهتها مع كل شهر جديد.

في أحواض صغيرة كانت خالتي تزرع الفيجل والخزامى والكسبر، وتغطيها في الليل حتى لا يدميها الصقيع ويحرق سيقانها الضئيلة. هناك رداء قديم يرمى فوق الأحواض بألوان ذهب الزمان، برونقها تذيلها حواشي مفضضة؛ فنحن نعتقد أن الذهب يليق بالإخصاب، ولا يُرى إلّا في الأعناق والحجور؛ أما الفضة فهي وتد الأرض وأخت النحاس. ولا بأس من وضع الفاكهة والماء تحت هذه الأواني مقلوبةً، لأن التراب سريرنا الوثير. أما الأواني الخشبية، فهي للأكل الحار الذي يثير الحواس.

في ديسمبر، حكايات تبدأ عادة بين رجل تجاوز الثلاثين وامرأة مشرقة، يلتقيان في مأتم هناك قرب القالة بالجزائر، ثم يكملان التلاقي في بيت جدي حيث المَنْسَجُ لا يُرفَع ما دامت جدتي على قيد الحياة.

يَتَلَفَّفُ الرجل ببرنس جدي تيمّنا بطول العمر وتجلس المرأة لتغزل الصوف: لا فرق بين من فارقت مقاعد الدراسة باكراً وبين من أتمّت تعليمها الجامعي، لأن الصوف ستر ودربة على الصبر، وليس في دار جدي نساء يَمْتَهِنَّ الشكوى أو يسهدهن ليل الشتاء لتشرب الأرواح دموعهن في الظلام.

* تونس العاصمة

قصائد

نبوءات خائنة

نبيل مملوك *

الصمت يزحف
المدينة
تبيع جلدها
للصخب

■■■

نهار الأحد
عدوّ في كنيسة
الفراغ
يعظني

■■■

سكّان الحيّ
ينامون عند الآذان
دون أن يحلموا

■■■

الأغنية تغزو
شرياني
الحنين يتعثّر
بموتي..

■■■

الاصفرار بدأ يحزم حقائبه
أخاف من رؤية
عاصفة دموعي

■■■

جسدي سفينة
خانتها
النبوءات

■■■

صديقتي المقبلة
ستحضر المناديل
لتحفظ عواصفي

■■■

الخارطة
أم تئد
بناتها..

■■■

الإخوة يرمون ضحاياهم
البئر
بالجمال
مزدحم

■■■

أبحث عن جسم الشمس
عن الكبد
الذي أضاعته السماء

■■■

أوقّع نهايتي
بكحل مجبول
بخذلانهنّ

* صور/ لبنان

بول غيراغوسيان ـ «نقاء» (زيت على لوح خشب، 1982)

فكر

جيامباتيستا فيكو ... سيد فلسفة التاريخ إلى العربية

مصطفى شلش

أعلنت «دار أدب للنشر والتوزيع» (الرياض) قُرب إصدار ترجمة كتاب «العلم الجديد الأول» The First New Science للمفكّر والمؤرخ الإيطالي جيامباتيستا فيكو (1686-1744). صدر الكتاب عام 1725، وتُرجم إلى لغات كثيرة ما عدا العربية. تكمن أهميته في أنّ فيكو هو صوت غير تقليديّ للقارئ العربي، فهو أحد نُقّاد النزعة العقلية الحديثة الشائعة في الأوساط الأوروبية الحديثة، وواحد من المدافعين عن الفكر الذي كان سائداً في العصور الإغريقية القديمة.

بذل فيكو جهده لإثبات أن النزعة العقلية التجدّدية الغربية منبثقة من الأنموذج الأفلاطوني المتمثّل في محاورة كراتيلوس التي دَاع صيتها، وأنّها تضرب بجذورها في اللغة اليونانية التي قدّمت للبشرية بعض الميزات الأزلية التي تضرب بجذورها في الأديان الأسطورية. وهي قبل أن تكون ذات طابع عقليّ استدلاليّ، كانت محترَمة ومقدّسة. وبناءً على هذه الفكرة، بادر فيكو في بحوثه إلى تتبّع جذور الكلمات اللاتينية كي يثبت أنّ النزعة العقلية التي شاعت في الأوساط الفكرية الإيطالية تضرب بجذورها في مدرسة فيثاغورس الفكرية. ومن الآراء الأخرى التي طرحها فيكو، أنّنا من خلال دراسة وتحليل الأساطير الإغريقية القديمة نتوصّل إلى نتيجة أنّ الأشياء تسير في حركة تصاعديّة نحو المبدأ الأوّل، أي الله. كما أنّ أصول جميع الأشياء مكتسبةٌ منه، وعلى هذا الأساس فهي تكوّن حلقةً كمالية. ما يجعلنا نتفق مع الرأي القائل بأنّ «العلم الجديد» يُعتبر أوّل كتاب انتقد الحداثة الأوروبية في جانبها العقلاني.

كما عمل فيكو على وضع قانون لتطور البشرية كالقانون الطبيعي. لذا، درس الإبداع البشري كما تُدرس الظواهر الطبيعة. انطلق من دراسة الأساطير اللاتينية لأن فلسفة التاريخ تبدأ عنده من دراسة الثقافة الوطنية للشعوب. وتوصل إلى ثلاث ظواهر مشتركة عند كلّ الشعوب في التاريخ: الدين، الزواج، دفن الموتى. كما وجد أنّ كل شعب يمر بثلاثة عصور: عصر الآلهة، عصر الأبطال، عصر البشر. ويستمر التاريخ في دورانه، مقلّصاً كُلّ عصر ليسمح بالوصول إلى العصر الذي يليه، ثم يطول عصر البشر حتى يصبح مستقبل الإنسانية هو الإنسان ذاته. («آفاق التمرد: قراءة نقدية في التاريخ الأوروبي»، ص155).

في كتابه «جذور الرومانتيكية»، وصف الفيلسوف ومؤرخ الأفكار إيزايا برلين كتاب فيكو The First New Science بأنّه أول انتباه إلى غرابة الثقافات القديمة. إذ أوضح مدى الاختلاف بين النماذج الفكرية، متتبعاً أثر تاريخ التحولات في الوعي الإنساني. لكنه -أي فيكو- بعد فترة ازدهار في القرن الـ18، ظلّت أعماله مُهملة. وبنوع من التفصيل، تناول إيزايا برلين في كتاب «ضلع الإنسانية الأعوج» (فصل «السعي وراء المُثل العُليا») كتاب The First New Science، الذي يجعل فيكو -في نظر إيزايا - الأب الحقيقيّ لمفهوم الثقافة الحديث، وما يمكن تسميته بالتعددية الثقافية التي تقرّ بأن لكلّ ثقافة أصيلة رؤية تتفرد بها، ومعايير قيميّة خاصّة يُستعاض عنها عبر مسار التطوّر برؤى وقيم مغايرة، ولكن بشكل جزئي فقط، بحيث لا تصبح المنظومات القيميّة المبكرة غير قابلة كليّة للفهم من قبل الأجيال اللاحقة. وخلافاً لدعاة النسبية أمثال أوسفالد شبينغلر ويوستر مارك، لم يفترض فيكو أن البشر مُغلق عليهم في عصورهم أو ثقافاتهم، بحيث يكونون معزولين وعاجزين عن فهم المجتمعات والحقب التي لا ينتمون إليها والتي تختلف كثيراً عن قيمهم وقد يجدونها غريبة وبغيضة.

ينطلق فيكو من قاعدة فكرية هي أن صنيع الإنسان قابل لأن يُفهم من الإنسان. قد يتطلب فكّ مغاليق دلالة السلوك أو اللغة المغايرة قدراً كبيراً من المكابدة، ولكن، في ما يزعم فيكو، إذا كانت كلمة «إنساني» تحوز على أي معنى، يتوجب وجود قاسم كافٍ مشترك بين الكائنات البشرية، عبر إعمال قدر كافٍ من الخيال وفهم الكيفية التي يبدو بها العالم لمخلوقات نائية زماناً ومكاناً. مخلوقات مارست مثل تلك الطقوس واستخدمت مثل تلك الكلمات وأبدعت أعمالاً فنية بوصفها وسائل طبيعية للتعبير الذاتي اشتملت عليها محاولة فهم وتأويل عوالمها لأنفسها.

ثلاث ظواهر مشتركة عند كل الشعوب في التاريخ: الدين، الزواج، دفن الموتى

يعدّ نهج فيكو أساساً لنهج كُلّ علماء الاجتماع الأنثروبولوجيين الذين حاولوا فهم سلوكيات واستعارات القبائل البدائية، فلم يقوموا برفض أساطيرهم وتشبيهاتهم واستعاراتهم بوصفها هراءً، وغير عقلانية، بل بحثوا عن سبل تمكّن من الولوج إلى عالمهم من خلال النظر في عيونهم، متذكّرين وفق ما يقر الفلاسفة المتأخرون أن الإنسان هو ذات وموضوع لنفسه في آن.

في قراءة إيزايا، لا يخبرنا فيكو بما يعنيه بالولوج إلى عقول البدائيين، لكن ممارسته في The First New Science تنبئ بأنه يشترط تبصراً خيالياً، موهبةً يسميها «اللفانتازيا». ثمة مفكرون ألمان متأخرون يتحدثون عن «الفهم» في مقابل «المعرفة التي نحصل عليها من العلوم الطبيعية»، حيث لا يُسمح بالولوج إلى عقل الإنسان إلّا بعدما تتخيل الولوج إلى آمال ومخاوف النحل أو القنادس. لا غنى عن فانتازيا فيكو لمفهومه في المعرفة التاريخية. إنها فكرة لا تشبه الدراية بأن بوليوس قيصر ميت، أو أن الأسبوع سبعة أيام. أيضاً، فإن الأمر لا يشبه معرفة كيفية قيادة دراجة أو القيام ببحث. إنه أشبه بدراية معنى أن يكون المرء فقيراً منتمياً إلى أمة، ثورياً، أو معنى أن يهتدي المرء إلى دين، يقع في الغرام، يحاصر برعب لا يعرف له اسماً، أو يبتهج لعمل فني.

تجدر الإشارة إلى أنّ فيكو لم يكن معنيّاً بخبرات الأفراد بل بتجارب مجتمعات بأسرها. وما أراد تحليله هو ذلك النوع الذاتي الجمعي: ما فكر فيه الناس، ما شعروا به، وتخيلوه، ما رغبوا به، وكافحوا لأجله ضد الطبيعة المادية في أحد أطوار التطور الاجتماعي، المعبر عنه بمؤسّسات وآثار ورموز كتابة وحديث نتجت عن محاولتهم عرض وتفسير ظروفهم لأنفسهم. لقد اعتقد فيكو أنه اكتشف دربا لم يسبقه إليه أحد. الباب الذي فُتح لفهم التاريخ الثقافي عبر فك شفرات الأساطير والمراسم والقوانين والصور الفنية اعتبره إنجازه الأساسي. لا غرو أن أشاد كارل ماركس في رسالته إلى لاسال بعبقرية فيكو في مجال التطور الاجتماعي، كما يشير إيزايا.

لذا ليس ثمة من هو أقرب إلى أبوة الأنثروبولوجيا التاريخية من فيكو، كما يُعدّ إيزايا فيكو المتنبئ المنسي في المدرسة التاريخية الألمانية، وبطريقة ما الخصم الأكثر إرعاباً للتعاليم اللاتاريخية القائلة بالقانون الطبيعي والسلطة الأبدية. مثلاً، يطرح إيزايا فرض سبينوزا الذي يشير فيه إلى مقدور أي شخص اكتشاف أي حقيقة في أي وقت، لكن سوء الحظ وحده المسؤول عن تخبط الناس كل هذا الوقت في الظلماء، كونهم لم يقوموا بتوظيف عقولهم أو عجزوا عن توظيفها بشكل صحيح. فكرة التطور التاريخي بهذا المعنى الواسع، أي بوصفه سلسلة من الثقافات المتلاحقة التي تنشأ كل منها عن سالفتها عبر مسار كفاح بشري مستديم ضد قوى الطبيعة بطريقة تنتج أحد مراحل التطور الاجتماعي حرباً بين الطبقات الاقتصادية، نجمت سياسياً ومؤسساتياً بالمعنى الضيق، بل اجتماعياً ونفسياً وأخلاقياً. بدونه ليس ثمة فهم حقيقيّ للذات.

البشري الذاتي. والواقع أنه لم يسبق أن تمت بهذا الكمال صياغة مثل هذا المفهوم لطبيعة التغير التاريخي.

حديثاً، يشير نقاد فيكو إلى أنّ مذهبه القائل بأن الإنسان لا يفهم سوى ما صنعت يداه لا يكفي لاكتشاف الثقافات وتحليلها. ولا ريب أن كلّ هذه النقود صحيحة في نظر إيزايا وأنها تعترض سبيل مذهب يقرّ أن كون التاريخ البشري صنيع البشر يستلزم أن يكون قابلاً حتى من حيث المبدأ لأن يُفهم كاملاً عبر الولوج في عقول الأسلاف. ولكن رغم أنّ التاريخ البشري ليس مجرد تصور لآمال وأفكار البشر والسلوكيات التي تجسدها، وليس مجرد تصور في الخبرة البشرية أو مراحل الوعي، ورغم أن مزاعم فيكو تبدو الآن مسرفة في طموحاتها، فإن ثمة شيئاً مهماً يبقى رغم كل تلك الاستدراكات. يجب أن نعي اليوم الفروق التي تميز بين المؤرخين الذين يقومون برسم صور متكاملة ثلاثية الأبعاد لمجتمعات أو جماعات بأسرها، ما يجعلنا نعتقد محقين أو مخطئين، أننا نستطيع تحديد طريقة العيش في الظروف التي مروا بها، ما يمكن أن نؤسس تعميمات شاملة تفتح الباب على إرعابات التخمين والذاتية والتسطيح الصحافي أو ما هو أسوأ من ذلك.

هذا التمييز المهم نجده لدى فيكو، المؤسّس على الموقف المتخذ تجاه الملكة التي يسميها فانتازيا، الملكة التي يستحيل في غيابها بعث الماضي. لم يُعمه ويتعين ألا يعمينا الدور المهم الذي يُعزى للخيال عن ضرورة التحقق. إنه -أي فيكو- يسلّم بوجوب المناهج النقدية في فحص القرائن. بيد أن الماضي في غياب الفانتازيا يظل ميتاً. بعث الروح فيه يتطلب، في الوضع المثالي على أقل تقدير، الاستماع إلى أصوات الناس، والتخمين (وفق شواهد) بخصوص الكيفية التي كانت عليها خبراتهم، وشكل تعبيرهم وقيمهم، ورؤاهم ومقاصدهم وسبل عيشهم. بدون ذلك، لن نستطع فهم متى جئنا وكيف أصبحنا ما نحن عليه، ليس فقط مادياً وبيولوجياً، وفق عملية الإنتاج ذاتها. يشير إيزايا إلى أن تلك الفكرة التي نجدها لدى فيكو تشكل حدثاً أساسياً في تاريخ نمو الفهم

شعر

جودت فخر الدين... غزالة الشعر الشاردة

محمد ناصر الدين

«يقول لي الثلج في أول العام: قف وابتدئ، ها أنا الآن صفحتك الخالية. أيحسبُ أني نسيت نصيحته الغالية؟ وهو يأتي بها بين عام وآخر، أمّا أنا فأطبّقها كل يوم... أبادر نحو المساء كأني نسيت الصباح، أبادر نحو الصباح كأني نسيت المساء، وأبقى هناك مبتدئاً، بين هذا وذاك، أحاول في كل يوم صناعة معجزة للبياض، أحاول في كل يوم، ولست لأنتظر الثلج». الشعر عند جودت فخر الدين (1953) ضوء، سلام، كشفٌ وهجر. إنه عملية كفيلة بأخذ العالم من الصباح إلى المساء وبالعكس: هو تمرين روحي، وطريقة لتحرير داخلي أشبه بـ«المعجزة البيضاء». يكشف الشعر العالم ويغطّيه كما الثلج في القصيدة التي نستلّها من «لم تدعني السماء وشأني» الصادرة عن «العائدون للنشر» التي أطلقت مبادرة «مختارات العائدون الإبداعية العربية». يعرّفها مديرها الشاعر عمر شبانة كمشروع «يجمع نخبة من الكتّاب المبدعين، الشعراء والقصّاصين، من عدد من الأقطار العربية، بل من كلّ قطر عربي، ومن دون تمييز على صعيد جنسية المبدع وبلده. هو مشروع يسعى إلى جمع ما أمكن من مختارات تحاول تلخيص تجربة كلّ من هؤلاء الكتّاب الذين يقع عليهم اختيار الدار».

عشرون قصيدة تخترق النتاج الشعري لفخر الدين، من «أوهام ريفية» (1980) حتى «حديقة الستين» (2016)، وبينهما مختارات من «للرؤية وقت» (1985)، و«قصائد خائفة» (1990) و«منارة للغريق» (1996)، و«سماوات» (2002)، و«ليس بعد» (2006) و«فصول من سيرتي مع الغيم» (2011) على مساحة 230 صفحة تقريباً تكشف الحساسية الشعرية العالية وأهم الملامح الحميمة والحزينة في آن. لقصيدة تحمل السماء والبلاد وحزن الريف في عين الشاعر الذي يعاند الحياة كطفل جسور. يرغب في كلّ شيء، ولكنه زاهد في كلّ شيء أيضاً. في الصفحات الأولى، نبصر الحساسية الريفية الملتصقة بالفصول الجنوبية التي تلقي الشاعر في ثنائية الرحيل- الالتصاق بالأرض الأم، حيث الإيقاع التفعيلي يواكب هذه الثنائية: «كان بيني وبين الفصول اتّفاق: كأن نتشابة: حيث التعاقب، حيث التحولُ، حيث ارتداد الصدى. ثم إن الفصول تولّت، فاقعيت في وحشتي، هادئاً كانتظار ظليل. أراقب في البعد أفقاً يميل. وأذكرُ : كان السواد بعينيّ يغشى التخوم، ويغشى النجومَ ويمحو القرى». الحيرة ذاتها ولعبة الاحتجاب والكشف في القصيدة الأخيرة، مطارداً طير الشعر وغزالة المعنى في خراب البلاد وأطلال الديار: «من أين تأتيني طيور الشعر؟ من أيّ الأقاصي؟ ربما كانت بوارحُ، لا يهمُّ، فلا يجيء الشعر إلّا بالسوانح، كلّ طير من طيور الشعر يأتي سانحاً، لا بارحاً، ويطير مشتملاً جهات الأرض، مشتملاً رياح الأرض، مشتملاً فضاءً تستحيل الأرض فيه قشة. ماذا أقول إذاً لأطلال نسمّيها بلاداً؟ كيف أبكيها؟ أأبكيها وما زالت طيور الشعر تأتيني؟ وكيف إذا استجارت بي جراحات الصدى وغزالة المعنى؟». كما نشهد في المختارات ترحال الشاعر في مدن وبلدان عديدة زارها، مثل اليمن الذي يطارد فيه الشاعر حزنه مع أمطار الجبال العالية: «كأني قد أتيت إلى هنا في غفلة من الزمن. فوجدت أيامي، تقطّر ذوبها، في أدمع اليمن»، مروراً بامستردام حيث «ضوء الشوارع والشجر المتكاثف والطير في جوّه المتلبّد، والنهرُ خيطُ البحيرات، والزرقة المدلهمة عند الغروب، ولكن لعلّي هنالك أنكر ليل الدروب، وأنكر وجه المياه، وادعو النجوم لتومضَ كالشك في خطوتي»... وليس انتهاءً بالقصائد الأميركية حيث يغدو الحزن أكثر وداعةً وألفة: «يقول لي الثلج: لا لون غيري، وما أنا لونٌ، وفي ألقي كلّ لون... يقول لي الثلج أيضاً: سريرتك اليومَ مثلي، يخالطها الهمّ من كل لونٍ، فإذْ هي بيضاء بيضاء».

تأتي هذه المختارات تكريماً للشاعر القادم إلى الشعر من الفيزياء، والأستاذ حالياً في الجامعة الأميركية في بيروت وسابقاً في الجامعة اللبنانية وجامعة «بلومنغتن» في ولاية إنديانا الأميركية التي درّس فيها كأستاذ زائر عامي 2008-2009، والذي تُرجمت له مجموعتان هما «منارة للغريق» (2017) و«السماء التي أنكرتني» (2019) إلى الإنكليزية. لا يغيب الجنوب اللبناني عن المختارات التي تذكرنا ببدايات فخر الدين الذي شكّل مع مجموعة من الشعراء أمثال محمد علي شمس الدين وشوقي بزيع ومحمد العبد الله وحسن العبد الله والياس لحود وعصام العبدالله وغيرهم من مَن سمّي شعراء الجنوب، وبخاصة في مجموعة «للرؤية وقت» المجموعة الأشبه بمانيفستو الحزن والرفض للأرض العاملية الغارقة في دمها والمتروكة للغزاة والحرائق، تخترع وصفة الحرية المضادة «كأثواب الأساطير»: «نعوذُ إلى القصيدة نفسها، (كُتبت بنا)، ونخطُها يوماً فيوماً في الجنوب، نخطُها ولهاً على الطرقات، أشرعةً كأثواب الأساطير، انفجارات ترى حرقاً على الأرض القتيل، تحيلُها برداً على المدن الصغيرة والقرى، كُتبت بنا، ونخطها ولهاً على الطرقات، نطلقها ملائكةً تحارب في هواء جاحدٍ. يأتي الجنوب كما أتى من قبل، جندياً وحيداً، حربه الحرب الوحيدة».

النفَس الجنوبي ومكابدة الأرض المطلة على الجليل كما تتجسد في أشعار فخر الدين تتفق مع رؤية «العائدون للنشر» في مشروعها الآخر المتمثل في «نشر كل ما له علاقة بالتاريخ الفلسطيني، القديم والحديث»، ومناهضة الرواية الصهيونية لهذا التاريخ. «بدم القصيدة نفسها» وبساعدين كغلالة الشمس الحبيسة، كسحابة الشغف المرير كما يقول فخر الدين، يخرج فدائيون نحو الأرض السليبة «مثل توهج الزمن الأخير... بدمٍ يجدد كل حين دربَه».

رواية

المغيرة الهويدي: عن مكان منسيّ وأناس منسيّين

يزن الحاج

إثر نشر قصة «الخوف» عام 1965، تعامَلَ نجيب محفوظ معها بمبدأ «التقية»، إذ حرص على تبديد أيّ تفسير مباشر لها بشأن تغوّل الضبّاط بعد «ثورتهم» في مصر، وشدَّد على أنّها إعادة كتابة لسيرة ضابط قديم أيام زمن الفتوّات. وبعد انتهاء حُكم جمال عبد الناصر، استعادت القصة تفسيرها المباشر بتصريح محفوظ نفسه، حيث شدَّد هذه المرة على أنّ مهمة الفن لا تقتصر على «القضايا الكبرى» بل يمكن له أن يكون وسيلة لغاية، بحيث تكون القصة ردّ فعل مباشراً على الأحداث حتّى لو فقدت الآن مسرفة في طموحاتها، فإن ثمة شيئاً مهماً يبقى رغم كل تلك الاستدراكات. يجب أن نعي اليوم الفروق التي تميز بين المؤرخين الذين يقومون برسم صور متكاملة ثلاثية الأبعاد لمجتمعات أو جماعات بأسرها، ما يجعلنا نعتقد محقين أو مخطئين، أننا نستطيع تحديد طريقة العيش في الظروف التي مروا بها، ما يمكن أن نؤسس تعميمات شاملة تفتح الباب على إرعابات التخمين والذاتية والتسطيح الصحافي أو ما هو أسوأ من ذلك.

هذا التمييز المهم نجده لدى فيكو، المؤسّس على الموقف المتخذ تجاه الملكة التي يسميها فانتازيا، الملكة التي يستحيل في غيابها بعث الماضي. لم يُعمه ويتعين ألا يعمينا الدور المهم الذي يُعزى للخيال عن ضرورة التحقق. إنه -أي فيكو- يسلّم بوجوب المناهج النقدية في فحص القرائن. بيد أن الماضي في غياب الفانتازيا يظل ميتاً. بعث الروح فيه يتطلب، في الوضع المثالي على أقل تقدير، الاستماع إلى أصوات الناس، والتخمين (وفق شواهد) بخصوص الكيفية التي كانت عليها خبراتهم، وشكل تعبيرهم وقيمهم، ورؤاهم ومقاصدهم وسبل عيشهم. بدون ذلك، لن نستطع فهم متى جئنا وكيف أصبحنا ما نحن عليه، ليس فقط مادياً وبيولوجياً، سياسياً ومؤسساتياً بالمعنى الضيق، بل اجتماعياً ونفسياً وأخلاقياً. بدونه ليس ثمة فهم حقيقيّ للذات.

الأوروبيّة. ولكنّ النتائج كانت مخيّبة، إذ لم تقدّم جديداً للقارئ الذي بقي على تفضيله وعلى إدمانه للوسائط المباشرة من تلفزيونات وفيديوهات ومقالات، بحيث بات يمكن لهم ببساطة تصنيف أيّ رواية جديدة بوصفها «رواية أخرى عن الأحداث» من دون فوارق تُذكَر بينها. الفارق الذي تقدّمه رواية المغيرة الهويدي «قماش أسود» (منشورات «تكوين») هي أنّها لا تندرج بدقّة تحت أيٍّ من التَّصنيفَيْن الكبيرين: انتهى الحدث المباشر الذي توَّرَخ له الرواية مع التَّلاشي الموقّت لتنظيم داعش وسيطرته على مدينة الرقّة؛ ولكنّها – في الوقت ذاته – توثّق أحداثاً لم تنتهِ بعد، حين انتقلت السُّلطة من يد «داعش» إلى يد «قسد». ولذا كان لا بدّ من تعامل ذكيّ مع هذا الحبل الرفيع الذي يفصل التَّصنيفين. لا بدّ من رواية تحتفظ بجوهرها الفنيّ، وتقدّم قراءة موازية للأحداث في آن. وهذا ما نجح الهويدي فيه بدرجة معقولة.

انطلق الهويدي بذكاء من زاوية مهملة في الحروب: حضور المرأة. تقوم الرواية على بطلاتها النساء، فيما كان الرجال محض كومبارس صامت معظم الأحيان، بل إنّ دورهم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنساء اللواتي يحرّكن أحداث الرواية في اتّجاه مناقض للأحداث الخارجيّة التي بدأها الرجال، وواصلوا إشعالها، مع فارق أنّ إنهاءها ليس في أيديهم، ولا حتّى في أيدي النِّساء. الجميع بيادق في رقعة الشطرنج هذه التي تنتظر الأحجار القويّة وحركاتها الأسرع وسُلطتها الأشدّ. تتعاظم أهميّة ذكاء التقاط الزاوية حين يقدّم الهويدي جغرافيا مجهولة للقارئ السوري والعربي على السواء: مدينة الرقة التي ربّما لم تكن لتظهر على سطح الأحداث لو لم تقع في قبضة «داعش». مدينة منسيّة في شرق منسيّ بقي إلى اليوم بيئة مجهولة في الرواية السوريّة التي تفضّل المدن الكبرى مسارح لأحداثها (الأجمل). وكأنّ المكان الذي هُرِمَ وتقلّب

مدينة الرقة ربّما لم تكن لتظهر على سطح الأحداث لو لم تقع في قبضة «داعش»

لملمة تفاصيل هذا المكان، وصونه من النسيان، في قصائده، وواصل لملمته الجميلة في «قماش أسود» التي كانت تسعى إلى رسم تفاصيل المكان جنباً إلى جنب مع تفاصيل ناسه أو نسائه، أو ربما رسم تفاصيل العلاقة الجدليّة التي تربط الناس بالمكان، سواء كانوا أبناء «أصليّين» لهذا المكان أو ضيوفاً عابرين، شاءت الأحداث ترسيخهم أكثر في هذا المكان الذي سيكون مثواهم الأخير على الأغلب. كانت «قماش أسود» ستمثّل رواية سوريّة فارقة لو التفت الهويدي بدرجة أكبر إلى المكان بطبيعته وأشجاره وسمائه وطقسه المتقلّب الذي لا يفهمه إلّا أبناء ذلك الشرق السوريّ، ولو تجرأ أكثر في تقديم اللهجات المحكيّة بدلاً من الفصحى التي احتلّت فضاء الرواية وطبعته بطابع رتيب في معظم الحوارات. ما أنقذ الرواية من الإخفاق كانت لغة الهويدي السرديّة المتقنة، وحساسيّته الرهيفة في رسم شخصيّاته النسائيّة، آسيا والحاجة زهرة على الأخص، لا البطلة نسرين. ولكنّ تلك الحساسيّة كانت خارجيّة، بمعنى تأرجح الشخصيّات بين أن تكون سيّدة نفسها وبين أن تكون شخصيّات مرتبطة بالكاتب. تبلغ الشخصيّات أبهى درجاتها حين تتملّص من الكاتب، على الأخص الحاجة زهرة التي بدا أنّها تمرّدت على دورها الثانويّ الأصليّ، بحيث بات طيفها مخيّماً على الثلث الأخير (الأجمل) في الرواية حتّى عند غيابها عن الحدث. وكأنّ المكان الذي هُرِمَ وتقلّب بين أيدي الطغاة الرجال الشبّان تجسّدَ في الحاجة زهرة بهدوئها وصرامتها وحنانها وسطوتها في آن.

تصل الرواية إلى ذروة جمالها في المشاهد التي ترسم اندلاع العاصفة الرعديّة المتّحدة مع اندلاع اشتباكات عنيفة تُطوِّق المخيّم. كانت الشخصيّات كلّها حائرةً خائفةً قلقةً منكسرةً باستثناء الحاجة زهرة التي بدت مثل آخر عمود راسخ في المكان الذي استحال أطلالاً من الخيم المهدّمة؛ بدت الحاجة زهرة كأنّها تضبط إيقاع الرواية بطقطقات مسبحتها بعدما انزلق الكاتب على نحو غير مباشر إلى التوثيق. امتدّ هذا التهدّم حتّى إلى فضاء الرواية المكانيّ الذي بدا مشظّى في تفاصيل متناثرة، جميلة ولكن مبعثرة، كان يمكن لها أن تتألّق أكثر لو وثق الهويدي بنفسه وبأدواته أكثر، ولو توسّع في روايته التي كانت تحتمل عدد صفحات يقرب من عدد صفحاتها الحاليّ، كي يقدّم لنا ملحمةً – ولو مصغّرة – عن مكان منسيّ، وأناس منسيّين، وتاريخ منسيّ. «قماش أسود» رواية أولى، ولذا ينبغي لنا ربما قراءتها بصرامةٍ أقل، إذ هي رواية مبشّرة بقوّة بقدوم روائيّ متمكّن بدرجة جيدة من أدواته التي سيبرع بها أكثر في الروايات القادمة التي سنترقّبها بشغف. الأهم أنّها رواية جميلة، بالرغم من تأرجحها، إذ هي رواية بكْر بكل معنى الكلمة، في تردّدها وقلقَها وبراءتها وتلعثمها، وهي حتماً ليست «مجرد رواية سوريّة أخرى».

تاريخ

صقر أبو فخر: الماسونية بين الخرافات والحقائق

محمود شريم *

صقر أبو فخر، المؤرّخ البحّاثة، يعيد في جديده «الماسونية في عماء التاريخ: خرافات وأغاليط وحقائق» (رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، 2021، تصميم الغلاف والإخراج الفني: أرتيستو – علي الحاج حسن) النظر في مسألة رآها بعضهم شائكة، فيما رآها بعضهم الآخر لغزاً مُبهماً. لكن قلّة رأتها جمعية حرفية حديثة عرفتْها أوروبا في العصور الوسطى، فيربط المؤلّف ها هنا الماسونية بالفكر الروبوي الأوروبي وبالأفكار التاليهية التي مهّدت الطريق أمام انبلاج عصر التنوير. وعليه، فإنّه يجد نفسه يدحض الأغاليط التي شاعت في النصوص العربية عن الماسونية وتاريخها الملتبس. كتاب صقر إذن، في بعض منه، تصفية حسابات، وإن كان في بعضه الآخر وضع الأمور في نصابها التاريخي تحتاج إلى وقفة نقدية، لا سيّما لفهم دوافع من انتمى إليها في المشرق العربي، وإن في بعض المراحل، أمثال عبد القادر الجزائري، والإمام محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وعبد الرحمن الشهبندر وبطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق وابراهيم اليازجي وخليل مطران.

يلحّ الباحث أبو فخر على أن ثمّة خرافات لا حصر لها تكتنف الحركة الماسونية ونشاتها، فادّعى بعضهم أن جماعتها ضلبتْ السيّد المسيح ودسّت السمّ للنبي الكريم، فيما هي حركة علنية لا سرية تأسّست مجدّداً في عام 1717 تحت عنوان «الفريماسون» أي «البنّاؤون الأحرار»، فيسرد عناوين كتب في الماسونية مارست تضليلاً علمياً وتاريخياً على عقول العرب.

يرى صقر أن في معظم هذه الكتب ونظائرها الكثيرة، لا حقائق تُعرض ولا خفايا تُكشف وإنما مجرّد ثرثرة اعتباطية لأرباع الحقائق أو لبعض الأكاذيب الصحيحة وخرافات سارية وخيال كسيح، فيما يشير إلى أن منظّري الجماعات الإسلامية كلّها، بقطعانها الناعمة أو بذوات الأنياب، ما برحوا يتقوّلون على الماسونية بما ليس فيها، وهذا إما جهل أو تضليل. والسبب هو أن الماسونية، ـ مع أنها تحتضر، ولا يكاد يكون لها أثر في المشرق العربي ـ هي حركة علمانية. وفي الوقت نفسه يشير الباحث إلى أن الماسونية التي ترفع لواء العلم والعقلانية، ما برحت تمارس طقوساً خرافية مضحكة، مع أن رموزها كالبيكار والشاقول والمثلّث المتساوي الأضلاع مصدرها هندسة اقليدس، والمئزر الذي يرتديه الماسوني هو نفسه المئزر الذي كان يرتديه كلّ بنّاء ليضع فيه عدة العمل كالمسامير وآلة قياس الطول وميزان الاستواء الزئبقي وغيرها. والماسونية في اعتناقها مبادئ المساواة والاخاء تتعارض في جوهرها مع اليهودية، فاليهودية الارثوذكسية حرّمت الانضمام إلى الماسونية واعتبرت من ينضمّ إليها خارجاً على الدين.

لا يجد الباحث بُدّاً من عقد مقارنة بين الملاحدة العرب وأفكارهم وبين الربوبية الأوروبية، ضمن سياق استقرائي يميط من خلاله اللثام عن الفروق بين الإلحاد العربي الذي كان ينكر النبوّات ولا ينكر الخالق، والفكر الربوبي الأوروبي الذي لم ينكر الخالق وإنما أنكر المعجزات الواردة في الكتاب المقدّس.

البداية إذن حيث يجب: برونو معلّم جميع مفكّري الربوبيين الذين جاؤوا بعده، مع أن سبينوزا هو من منح الربوبية شكلها الفلسفي، فكان من القائلين بوحدة الوجود وأن الطبيعة والله واحد، وأنكر ألوهية المسيح واعتبره «سيّد الأنام» جراء حكمته التي منحها الله له. أغرم سبينوزا بأفكار برونو فطُرد من اليهودية. وبحسب الربوبية، فإن الكون لا نهائي وليس له مركز أو حدود أو محيط أو ارتفاع أو انخفاض وكل شيء يجري ويتحرّك ويدور. ووراء هذه العوالم التي نراها ثمّة عوالم أخرى ووراءها عوالم لا حصر لها وهكذا إلى ما لا نهاية. أنكر برونو التثليث والتجسيد المسيحيّ، واتّهم المسيح والرُسُل بخداع الناس وتضليلهم بالمعجزات المزعومة. حُوكم وبقي متمسّكاً بأقواله، ورفض التراجع عن أفكاره، وعندئذ جُرّد من ثيابه ورُبط لسانه وشدّ إلى خازوق فوق ركام من الحطب وأُحرق حيّاً.

أما في ما يخصّ الملاحدة العرب، فيشير أبو فخر إلى أن الإلحاد العربي أنكر الوحي والنبوءات، ولم ينكر الخالق، إذ أحلّ العقل في محل النقل، أي الوحي، والإنسان في محل النبوّة، فلم يكفّ الشاعر السوري الخالد أبو العلاء المعري عن تنبيه الورى إلى ضلالاتهم وخطل معتقداتهم، إذ قال:

أفيقوا أفيقوا يا غواةً فإنما
ديانتكم مكرٌ من القدماءِ
إنما هذه المذاهبُ أسبابٌ
لجلب الدنيا إلى الرؤساء
وأيضًا له:
إذا رجع اللبيبُ إلى حُجاه
تهاوَن بالشرائع وازدراها

يرى أبو فخر أن الفكر العربي بدأ انغلاقه مع أبو حامد الغزالي عندما اعتقد واعتقد المسلمون معه أنهم ختموا العلم ووصلوا إلى ذروة المعرفة، وأن معارف الوجود محفوظة كلها في السِّير النبوية وكتب الأحاديث والتفاسير والروايات ونصوص الفقهاء وكلام المتكلّمين.

وعلى هذا النحو، فإنه إذا كانت الماسونية في أوروبا وارثة الفكر الربوبي والتأليهي الذي كان له الأثر الكبير في انبثاق عصر التنوير، فإنه لم يكن للماسونية في بلادنا غير أثر بسيط لدى المفكّرين المتنوّرين أمثال جرجي زيدان، وفارس نمر، ويعقوب صرّوف، وعبد الرحمن الشهبندر وأمثالهم. إذن فمعيار أبو فخر كتابة بحثه لمن نزع من رأسه خرافات الأقدمين مقتدياً بقول أرسطو «أفلاطون حبيبي ومعلّمي، لكن الحقيقة أحبّ إليّ منه»، ومردّداً، في الوقت نفسه، قول المتنبّي:

لكلّ داءٍ دواءٌ يُستطبّ به
إلا الحماقة أعيتْ من يداويها

إشارة إلى أن ملاحظة المؤلف على احتضار الماسونية في المشرق العربي عموماً تحتاج إلى وقفة متأنية، إذ رأى، مصيباً، أن نكبة فلسطين عام 1948 مثّلت بداية انحسار الماسونية في بلادنا، ولاحقاً أُقفلت المحافل الماسونية في مصر (1964) وكذلك في سوريا (1965)، ودخلت في سبات عميق وانشقاقات صاخبة، وصارت مدعاة للهزء كما جرى في لبنان في ثمانينيات القرن المنصرم على سبيل المثال.

على هذا النحو هو كتاب صقر أبو فخر: إيضاح ما استشكل في شأن الماسونية العربية التي لم يكن لها أي شأن سياسي مهم، ومحاولة لإعادة التاريخ إلى نصابه الصحيح.

هذا هو الأستاذ صقر في سفره النفيس، الأنيق الدقيق، عن الماسونية، أصلاً وفصلاً. أمّا أنا، ومن باب تصفية نيّتي، كما يُقال في بلادنا، وحيث إن صوفتي حمراء، وإنْ كانت أقلّ احمراراً من صوفة صقر، فإنّ معياري النقدي دائماً نصّ أنطون سعادة وعليه أتكئ في موقفه من الماسونية كما أعلنه في بيانه عن الماسونية يوم 10 أيار (مايو) 1949، وقبل شهرين من إعدامه وشهادته، ففقرته التاسعة والأخيرة هي القول الفصل ومسك الختام:

«إن كل حقّ وكل خير وكل جمال إنساني يجدها الإنسان في مبادئ النهضة السورية القومية الاجتماعية وتعاليمها السامية فلا يحتاج إلى غيرها. إن السوريين القوميين الاجتماعيين الذين كانوا ماسونيين قبل انتمائهم إلى الحركة القومية الاجتماعية، والذين انتموا إليها بعد أن اعتنقوا المبادئ القومية الاجتماعية غير عالمين بالتضارب بين أهداف المنظمتين يجب أن يعلموا أنه لا يمكن الجمع بين ولاءين».

يرى ان الفكر العربي بدا انغلاقه مع ابو حامد الغزالي

* باحث فلسطيني

أوراق

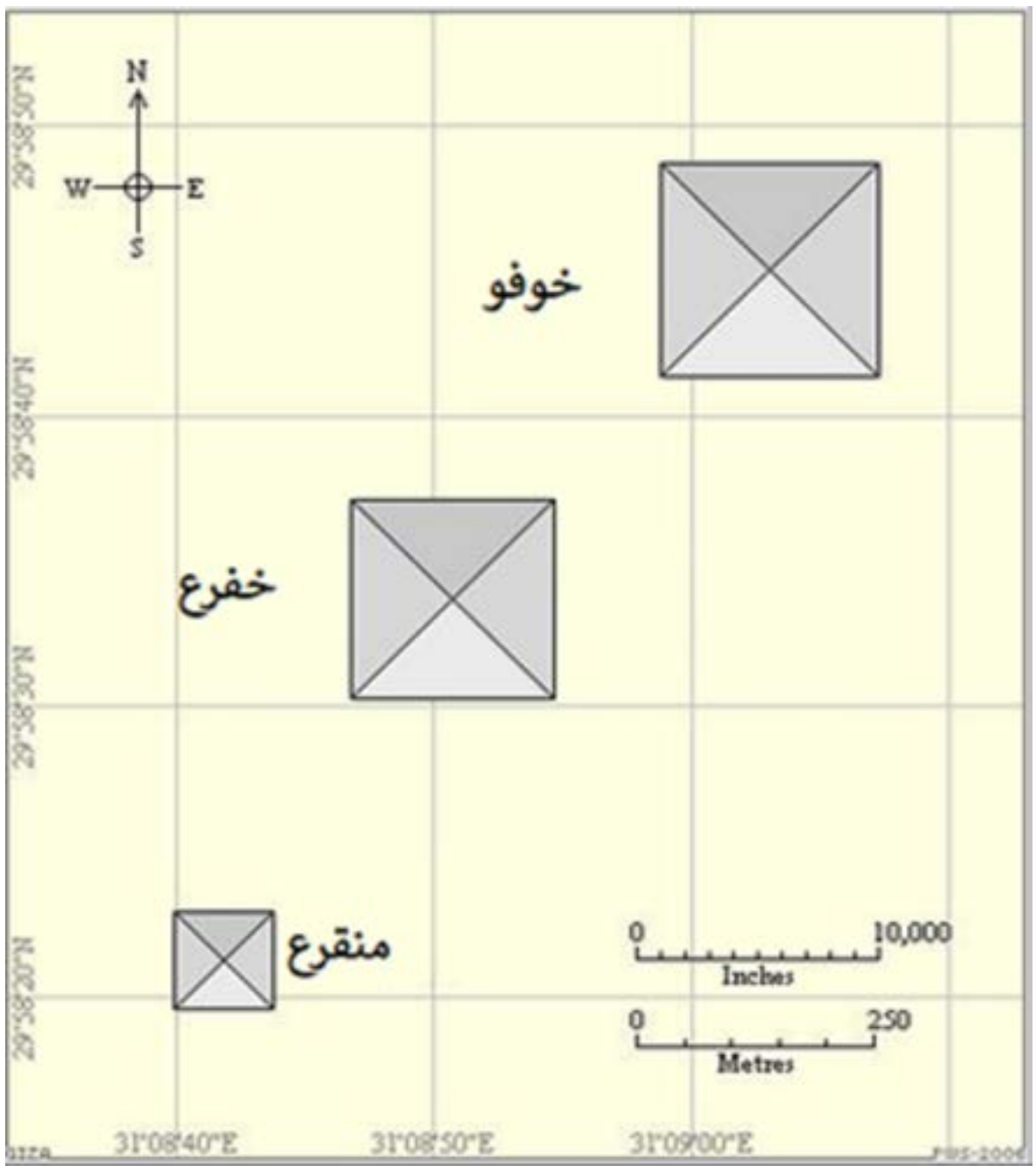

التصنيف الجنسيّ لأَهرام الجيزة الثلاثة

زكريا محمد *

تصطفّ الأهرام من الجنوب إلى الشمال بدءاً من الهرم الأكبر. لكنه ليس اصطفافاً شمالياً- جنوبياً تاماً، بل مع ميل إلى الشرق. وقد سمّتها المصادر العربية تبعاً لموقعها. فهرم خوفو هو الشماليّ، وهرم خفرع هو الجنوبيّ. لكنه يشار أحياناً إلى هرم خفرع على أنه «غربي» مقارنة بهرم خوفو الذاهب شرقاً. أما هرم منقرع، فلا يوصف بموقعه بل بالإزار الحجري الغرانيتي ذي اللون المحمر الذي يلف أسفله. لذلك يُسمى أحياناً بالهرم الملوّن، وأخرى بالهرم المؤزر.

وتحدد لنا المصادر العربية، نقلاً عن مصادر قبطية قديمة، الهوية الجنسية لكل هرم من أهرام الجيزة الثلاثة. وهي تفعل ذلك عن طريق وصف «روحانية» كل هرم. وبالروحانية تقصد التجسّد. والتجسد يعبّر عن الطبيعة الجوهرية للهرم. أما روحانية هرم خفرع، فهي روحانية مؤنّثة، في حين أن روحانية الهرمين الآخرين روحانية مذكرة. فهرم خوفو يتجسّد بروحانية، أي روح، شابة، في حين أن هرم منقرع يتجسّد بروح رجل مسنّ. وخذ ما يقول المقريزي، الذي ينقل عن إبراهيم وصيف شاه في ما أظن:

«وحكى القبط في كتبهم: أنَّ روحانية الهرم الشماليّ [هرم خوفو]: غلام أمرد، أصفر اللون، عريان، في فمه أنياب كبار. وروحانية الهرم الجنوبيّ [هرم خفرع]: امرأة عريانة، بادية الفرج، حسناء، في فمها أنياب كبار تستهوي الإنسان إذا رأته، وتضحك له حتى يدنو منها، فتسلبه عقله. وروحانية الهرم الملوّن [هرم منقرع]: شيخ في يده مجمرة من مجامر الكنائس يُبخّر بها. وقد رأى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مراراً، وهي تطوف حول الأهرام وقت القائلة، وعند غروب الشمس» (المقريزي، المواعظ والاعتبار). وهكذا، فهرم خوفو «غلام أمرد»، أما هرم منقرع فـ «شيخ في يده مجمرة»، في حين أن هرم خفرع «امرأة عريانة بادية الفرج حسناء». وقد رأى الناس، تبعاً للمقتبس، تجسّدات هذه الأهرام تطوف عند غروب الشمس مراراً.

يضيف البكري مؤكداً هذا التصنيف الجنسي للأهرام:

«وفي خبر آخر أنه وكّلَ بالأهرام روحانيين، فجعل في الهرم الغربي [هرم خفرع] روحانياً في صورة امرأة عريانة، مكشوفة الفرج، لها ذؤابتان. فإذا أرادت أن تستفز الإنسان ضحكت إليه واستجازته إلى نفسها. وقد ذكر ذلك من رآها وقصدها. ووكّل بالهرم القبلي [المقصود هنا الشرقي، أو الشمالي وليس القبلي. والحديث عن القبلي سهو أو خطأ. فالمقصود هرم خوفو] روحانياً في صورة غلام أمرد عريان، قد رُئي من خارجه مرة بعد مرة، ثم تغيّب عنهم. وفي الهرم الملون [هرم منقرع] صورة شيخ في كفه مجمرة كنائسية كأنه يتبخّر، وعليه ثياب الرهبان» (أبو عبيد البكري، المسالك والممالك).

وأنا أعتقد، أن هذا التحديد الجنسي ينقل تقليداً فرعونياً قديماً جداً، وأصيلاً صحيحاً. أعرف بالطبع أن الاعتقاد السائد الذي بثّه الباحثون الغربيون أن الأهرام الثلاثة قبور للملوك الثلاثة الذين بنوها. لكن فرضيتي تقول إن الأهرام ليست قبوراً بشرية، بل مقرات آلهة. أو قل إنها قبور آلهة. وما كان بإمكان الناس أصلاً أن يتحملوا التكاليف الرهيبة لبناء هذه الأهرام لو كانت قبوراً لملوك. لقد تحمّل المصريون القدماء تكاليفها لأنها مشروع ديني ضخم. فهي تمثل مكة العهد القديم وفاتيكانها وقدسها معاً.

وما دامت الأهرام الثلاثة تتكوّن من ذكرين وأنثى في الوسط بينهما، فهي بشكل ما تشبه الثالوث العربي المكي (اللات والعزى ومناة). أقصد أن الثالوث المصري هو ذاته الثالوث المكي، لكن مطروحاً بالحجر على أرض الجيزة:

اللات – العزى - مناة

خوفو – خفرع - منقرع

بالتالي، فروحانية الهرم الأكبر تشبه روحانية اللات، في حين أن روحانية الهرم المؤزر تشبه روحانية مناة. أما هرم خفرغ، فروحانيته تشبه روحانية العزى، التي هي المؤنث الوحيد في الثالوث العربي هو. أما الحدان الطرفيان، أي اللات ومناة، فهما مذكران، كما برهنت طوال سنوات. بذا فالمرأة الـ «عريانة بادية الفرج» التي تسكن هرم خفرع شبيهة العزى. إنها العزى الفرعونية، أي إيزيس في الواق. وإيزيس هي نجمة الشعرى اليمانية. يؤيد هذا أنّ أبا الهول مرتبط بالهرم الأوسط على وجه الخصوص. فهو وهرم خوفو يشكلان كتلة واحدة. وأبو الهول كلب ما.

بذا يمكن الافتراض أنه (أنوبيس) ابن إيزيس المتبنّى. فهو في الأصل ابن أختها نفتيس، لكنها تبنّته وصار ابنها. ومن أجل هذا وضع قرب هرمها، هرم خفرع، ولم يوضع قرب واحد من الهرمين الآخرين. يؤيد هذا أن للهرم الأوسط بابين لا باباً واحداً. ذلك أن روحين تسكنانه: إيزيس وابنها أنوبيس.

ويمكن لي أن أقول بناءً على هذا أن الأهرام الثلاثة ميزان كوني معقّد. فهي:

أولاً: ميزان جنسي بين الذكر والأنثى، حيث للذكر مثل حظ الأنثيين. أي أن للرجل ضعف ما للمرأة.

ثانياً: ميزان الشباب والشيخوخة، أي ميزان للزمان. فهرم خوفو هو الشاب، وهرم منقرع هو الشيخوخة.

ثالثاً: ميزان الفصول. فهرم خوفو مثل «اللات» المكي يمثل الصيف، في حين أن منقرع مثل «مناة» الذي يمثل الشتاء.

وإذا كان هذا الميزان يبدو مختلاً بالنسبة إلينا الآن، حيث يحصل الذكر على ضعف ما تحصل عليه الأنثى، فإن هذه معتقدات القدماء. لكن عليّ أن أقول إنّ هذا الخلل يعتدل إذا انتبهنا إلى أن الثالوث يشبه ميزاناً بكفتين، وأن عقدة الميزان فيه الأنثى. فإذا انحدرت نحو اليمين انتصر الصيف. وإذا انحدرت إلى الشمال انتصر الشتاء. بذا فالأنثى بوجهين اثنين لا وجه واحد. إنها عملياً الخريف والربيع معاً، أي نقطة الاعتدال. بذا فالذكورة تطرّف، والأنوثة اعتدال. وهذا يبين أن الكون في نهاية المطاف رباعي لا ثلاثي.

وكنت قد قلت بهذا قبل سنوات طويلة في كتابي «عبادة إيزيس وأوزيريس في مكة الجاهلية». الكتاب كان رحلة مغامرة في ديانة مكة والديانة المصرية القديمة. وما زلت متمسكاً بجوهر هذه المغامرة، رغم أي أخطاء فيها. بذا فالأهرام ليست قبوراً لملوك، بل فلسفة مطروحة بالحجر على أرض الجيزة. وفي عصر بناء الأهرام، بل وفي عصور أقدم بكثير، كانت الفلسفة تتبدّى كمعمار أكثر من أي شيء آخر. كانت تكتب بالحجر.

> تحدّد لنا المصادر العربية، نقلاً عن مصادر قبطية قديمة، الهوية الجنسية لكل هرم من أهرام الجيزة الثلاثة

* شاعر فلسطيني